وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمـــي

جامعة كربـلاء ـ كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربيـــة

القرآنُ في مروياتِ الإمامِ الباقرِ (عليه السلام)

"مقاربةٌ معرفيةٌ"

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها

كتبت من قبل الطالب :

محمد علي صادق جواد كشاش

بإشـــــراف:

الأستاذ الدكتور أمجد حميد عبد الله

كانون الأول 2023م **جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ**

الآيــة :.....

قال تعالى ذكرُه :

بسم الله الرحمن الرحيم

{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ}[العنكبوت: 49].

صدق الله العلي العظيم

ترشيح الرسالة للطبع

نظرًا لإنجاز مباحث وفصول (الرسالة) الموسومة بـ (**القرآنُ في مروياتِ الإمامِ الباقر (عليه السلام) "مقاربةٌ معرفيةٌ"**) لطالب الماجستير (**محمد علي صادق جواد كشاش**) فإني أرشحها للطبع

التوقيع :

المشرف: أ.د. أحمد حميد عبد الله

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التاريخ : 10 / 9 / 2023 م.

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ الرسالة الموسومة بـ (**القرآنُ في مروياتِ الإمامِ الباقر (عليه السلام) "مقاربةٌ معرفيةٌ"**) التي قدّمها الطالب (**محمد علي صادق جواد كشاش**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلاميّة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية/ لغة القرآن وآدابها.

التوقيع :

المرتبة العلمية : أستاذ دكتور

الاسم : أ. د. أمجد حميد عبد الله

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية

التأريخ : 17-9-2023م

بناء على توصية المشرف والمقوّم العلمي أرشح هذه الرسالة :

التوقيع :

الاسم : أ.م.د حامد شهاب احمد

التأريخ : ٢١/٩/٢٠٢٣

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـــــ (**القرآن في مرويات الإمام الباقر (عليه السلام) مقاربة معرفية**) ، وناقشنا الطالــــب (**محمد علي صادق جواد كشاش**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (**جيد جدًا عالٍ**) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

التوقيع :
الاسم : أ.د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
المنصب في اللجنة : رئيسًا.
التأريخ : ٢٦/ ١١/ ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.د. علي بريسم
المنصب في اللجنة : عضوًا .
التأريخ : ٢٦/ ١١/ ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.د. إيمان مطر مهدي
المنصب في اللجنة : عضوًا .
التأريخ : ٢٦/ ١١/ ٢٠٢٣

التوقيع :
الاسم : أ.د. أحمد حميد عبد الله
المنصب في اللجنة : عضوًا ومشرفًا.
التأريخ : ٢٦/ ١١/ ٢٠٢٣

صدّقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء .

التوقيع :
الاسم : أ.د. **محمد حسين عبود الطائي .**
العميد وكالة

التأريخ : ٢٦/ ١١/ ٢٠٢٣

الإهداء

إلـــــى :
التي ربّـتني تربيةَ الفضلاء .
وغرست في نفسي حبَّ الأولياء .
التي طالما حدثتني عن فضائل الأئمة (عليهم السلام).
وحرصتْ على أن أحفظَ أسماءهم المباركة بالتسلسل الصحيح ، وأنا في السادسة من العمر .
إلى التي بذلت وبذلت .....
وتفانت واجتهدت .....
إلـى أمي الغالية :"لوكان مثلك كلّ أمّ بَـرّة..... غنيَ البنونُ بها عن الآباءِ".

الشكر والتقدير

قال تعالى : {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة: 172] .

أحمدُ اللهَ (عز وجل) على تتابع نعمه وتوالي مننه ، وعلى معونتهِ التي ما انقطعت في اتمام هذا البحث ، و الشكر من بعد الله موصولٌ لصاحب اليد العليا و الحجة على أهل الآخرة والدنيا، مولانا الإمام الحجة من آل محمد صلوات الله وسلامه عليه .

و الشكرُ موصولٌ أيضًا إلى الأستاذ الدكتور أمجد حميد الفاضل الذي اقترح عليّ دراسة هذه المرويات الشريفة ، وعلى متابعته و اهتمامه بكل تفاصيل هذه الدراسة.

أسألُ اللهَ عز وجل أن يتقبلَ منّا هذا القليل بقبوله الحسَن ، وأن يوفقَنا لما يحبه و يرضاه إنّه سميعٌ مجيب.

الخلاصة

إنَّ القرآن الكريم هو النص المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو عهد الله الذي عهِد به إلى خلقه ، ويتضمن هذا العهد مقاصد الشريعة الإلهية التي تتكفل بتنظيم جميع شؤون الإنسان في دنياه وآخرته بما يحقق له رضا الله (عز وجل) وفوزه في الدارين وفي هذه الدراسة تم تسليط الضوء على جانب في غاية الأهمية وهو ما رُوي عن مولانا أبي جعفر محمد بن علي الباقر (صلوات الله عليه) في تفسير القرآن الكريم وبيان مقاصده واستدلالاته وأدواته المعرفية التي من خلالها قدّم لنا هذا الفيض المعرفيّ المنحدر من مصب الغيب والذي ليس له إلا طريق واحد وهو الطريق المتمثل بالوحي الإلهي الذي جعله الله (عز وجل) خاصة للأنبياء والأوصياء دون غيرهم .

المحتويات

الموضوع ..... الصفحة.
المقدمة ..... 2 - 4.
التمهيد.....1-17.

الفصل الأول :الشكل .....18-59.
المبحث الأول : الإفراد 21-32
المبحث الثاني : التركيب .....33-.46.
المبحث الثالث :السياق .....47-59.

الفصل الثاني : المضمون .....60-87.
المبحث الأول : تصنيف الآيات بحسب موضوعاتها.....63-75.
المبحث الثاني :النص القرآني في بعديه التنزيلي والتأويلي .....76-87.

الفصل الثالث : الفهم .....88-107.
المبحث الأول :البعد الغيبي في تفسير القرآن .....91-99.
المبحث الثاني :تفسير القرآن بالقرائن المتعددة والاحتجاج به .....100-.107.

الخاتمة .....108-111.
المصادر والمراجع .....112-118.
الخلاصة باللغة الإنجليزية ..... A-c

المقدِّمــة

المقدمة

الحمد لله الواحد الذي لا شريك له، والصمد الذي لا شبيه له، الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وأشهد له بما شهد به لنفسه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو، وأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير.

وصلى الله على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام الأولين والآخرين، الذي أرسله الله على حين فترة من الرسل ليكون للعالمين نذيرًا، وداعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا، وعلى آله الطيبين، الذين بهم عُرف الله، ولولاهم لما عبد الله، من قصد الله توجه إليهم، ومن وحده أخذ عنهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبعد:

فإنّ الله (جل جلاله) قد أنزل الكتاب الكريم على رسوله (صلى الله عليه وآله)، وجعل فيه تبيان كل شيء، فما من شيء تحتاج إليه الأمة إلا وهو موجود في كتاب الله، ثم استودع علم الكتاب عند خاصة خلقه، وأمنائه على وحيه، وورثة علم رسوله (صلى الله عليه وآله)، وهم الأئمة من ذرية علي وفاطمة (عليهم السلام)، وفي بحثنا هذا حاولنا أن نسلط الضوء على جانب في غاية الأهمية يتمثل في مرويات الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، التي تناولت تفسير النص القرآني وتصنيف آياته الكريمة.

فالقرآن منه ما هو مجمل، ومنه ما هو مفصل، وفيه المحكم والمتشابه وفيه الخاص والعام، وفيه التنزيل والتأويل، وفيه الظهر والبطن، كما ورد عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم).

ومما حملنا على اختيار هذه المرويات الشريفة واتخاذها مادةً لبحثنا هذا ما تتضمنه هذه المرويات من كنوز المعارف الإلهية التي كشف عنها إمامنا الباقر (عليه السلام) ، ولما تضمنته من عمق المقاصد القرآنية التي لولاها ما كان لنا سبيل للوصول إليها والإحاطة بها ، فهي صادرة عن إمام استودعه الله علم التنزيل والتأويل كما استودع آباءه الكرام (عليهم الصلاة والسلام).

بالإضافة إلى ذلك ، أننا لم نعثر على دراسة تسلط الضوء على هذه المرويات الشريفة وتتناولها بالدراسة المناسبة كما ينبغي أن تُدرسَ، وما وجدنا دراسةً تبحث في الجانب الغيبي في هذه المرويات وأساليب الاستدلال التي قدمها الإمام (عليه السلام)، والكيفية التي من خلالها تعامل مع النص

القرآني، وفق أدوات معرفيةٍ غيبيةٍ مستمدةٍ من طريق الوحي، وكيف أنّ الآيةَ الواحدة قد تُفهم في عصر التنزيل بفهم يختلف اختلافًا كاملًا عن فهمها في عصر التأويل، على أن دراسة هذه النصوص يمكن أن تنحو أكثر من منحى، وقد اختار الباحث من ذلك منحى المقاربة المعرفية لوصف تلك المرويات مقرّبة من التعرَّف على النص القرآني وفقاً لنظامٍ معرفيّ معيَّن يمنح الباحث التصور الواضح عن النص القرآني من حيث الشكل والمضمون والفهم، وهذا ما جعل الدراسة لا تخرج عن محددات تخصص لغة القرآن وآدابها، مما يقع في حقلِ النقد الأدبي وفقاً للتصنيف المعمول بهِ في أقسام اللغة العربية

تألفت هذه الدراسةُ من مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصول، وخاتمة ذُكرت فيها نتائج الدراسة.

التمهيد : تم فيه التعريف بنظرية المعرفة، وماهية المعرفة، وطرق اكتسابها، وطبيعتها، وحدودها، والغاية منها، وتم التطرق فيه إلى المذاهب المعرفية، ومبتنياتها الفلسفية وما يترتب عليها من آثار قد تؤثر على طبيعة المعرفة.

الفصل الأول: ويخص شكل النص، ويتضمن الإفراد والتركيب والسياق، ففي المفردة درسنا المرويات التي بينت مقاصد المفردات القرآنية مع لوازمها المعرفية المؤدية إلى معرفة مقاصد التنزيل العزيز، وكذلك الحال مع التركيب إذ درسنا فيه التراكيب القرآنية والاختلافات الواردة بين القراء وما يترتب عليها في معرفة مقاصد النص، وأما السياق فقد سلطنا فيه الضوء على أهمية السياق في توجيه دلالة المفردة التي ترد فيه، وكذلك ناقشنا محدودية السياق وإطلاقه في فهم النص القرآني.

الفصل الثاني: يتناول هذا الفصل دراسة مضامين النصوص القرآنية بحسب ما جاء في مرويات الإمام الباقر (عليه السلام)، ويتألف من مبحثين، المبحث الأول: يتناول تصنيف الآيات بحسب موضوعاتها والمعايير المعرفية التي ارتكز عليها التصنيف، والمبحث الثاني: يتناول النص القرآني في بعديه التنزيليّ والتأويليّ، وكيف أنّ الآيةَ الواحدة تختلف دلالتها بين هذين البعدين.

الفصل الثالث: يتناول هذا الفصل طرائق الفهم التي تعددت في مروياته (عليه السلام)، ويتألف من مبحثين، المبحث الأول: يدرس البعد الغيبيّ في فهم النص القرآني وهذا البعد ليس له إلا طريق واحد وهو الوحي، وهذا الجانب ينعدم في جميع كتب التفسير الخالية من روايات أهل البيت (عليهم

السلام)، والمبحث الثاني: يدرس القرائن المتعددة في فهم النص القرآني ومنها القرائن اللغوية والتأريخية والواقعية، وكذلك طريقة الاستدلال القرآني وتفسير القرآن بالقرآن وفق منهج أهل البيت (عليهم السلام) المتمثل بإمامنا الباقر (صلوات الله عليه).

وانتهت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأما مصادر هذه الدراسة التي استخرجنا منها النصوص الشريفة للإمام الباقر (عليه السلام)، فكانت أوثق كتب الحديث التي روت حديث أهل البيت من منابعه الصافية، وهم أصحاب الأئمة الذين حفظوا حديثهم وفهموه ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها، ولم نأتِ بروايةٍ واحدةٍ ضعيفةٍ في سندها أو مخالفة لكتابِ الله تعالى في متنها بقدر المستطاع، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الباحث

التمهيـــــد

التمهيد

عندما نتتبع ما كتبه العلماء على مرّ العصور في مختلف الحضارات الإنسانية عن ماهية المعرفة وتحديد مصادرها والكلام عن طبيعتها نجد اتساعاً كبيراً في كل هذهِ الجزئيات مع وجود تباينٍ كبيرٍ بين هذهِ الثقافات، فمنهم من ذهب إلى القول بأن المعرفة لا تتجاوز كونها صورة في ذهن الإنسان، ثم نقلت تفاصيلها وأبعادها المادية من الواقع إلى الذهن من خلال العين بوصفها أحدى الحواس المساهمة في عملية الإدراك الذهني التي تحصل في ذهن الإنسان، وكما أن المعرفة تتحقق بوجود الحواس المساعدة في عملية الإدراك يرى البعض ممن ذهب إلى القول بأن الحواس هي المساهمة في تحقق المعرفة أن المعرفة تزداد بارتفاع كفاءة هذه الحواس وأنه لا وجود لشيء لم يتحقق إدراكه بالحواس، فما من شيء يمكن أن يوصف بالوجود مع عدم إمكانية إدراكه من خلال الحواس[1].

وهناك من قال أن المعرفة المتحققة في الذهن هي بعينها صورة الشيء الذي تحقق وجوده في الواقع، وسنأتي إن شاء الله تعالى إلى تفصيل القول في الاتجاهات الفكرية المختلفة في بيان ماهية المعرفة وما يتعلق بها من طبيعة وحدود ومصادر وأهداف بعد أن نأتي على بيان مفهوم نظرية المعرفة[2].

عرّفها الشيخ جعفر السبحاني بأنها: "علم حديث أُسس في الغرب منذ ثلاثة قرون، واهتم به الفلاسفة الغربيون اهتماماً بالغاً، حتى خصّ البعض منهم فلسفته بتبيين ما يرجع إلى المعرفة وأدواتها، والغاية المطلوبة من هذا العلم هي الوقوف على حقيقة المعرفة وأدواتها وحدودها"[3].

---

[1]– ينظر: في الفلسفة الاسلامية، د. ابراهيم مدكور، دراسة تقديمية: منى احمد ابو زيد، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، د.ت: 217.

[2]– ينظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق، مكتبة الثقافة الدينية، شارع بوب سعيد، القاهرة، ط1، د.ت: 211، وينظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، د. محمد علي ابو ريان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، د.ت: 305.

[3]– نظرية المعرفة المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العاملي، الدار الإسلامية، ط1، بيروت، 1990م: 11.

التمهيد :.....

وقد عرفت بأنها: "دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها وطرق الوصول إليها وقيمتها وحدودها"[1].

ولابد من الإشارة إلى الفرق بين العلم والمعرفة، فهناك من فرَّق بين المصطلحين وهناك من عدّهما بمعنى واحد، وقبل أن نذكر هذا الاختلاف لابدّ من الوقوف عليهما لغةً قبل الدخول في معناهما الاصطلاحي لأن فيه كلامًا كثيرًا لتعدد الاتجاهات والمذاهب المعرفية.

فالعلم لغةً من (علم): "بمعنى الأثر والعلامة، وبمعنى السّمة، وما يُنصب في الطريق يهتدى به كالعلم ، فتقول: خفيت معالم الطريق، أي آثارها المستدل بها عليها"[2].

أما المعرفة لغة من مادة (عرف)، قال الزمخشري: "لأعرفنّ لك ما صنعت: أي لأجازيك بهِ"[3]، وقال: "وتقول ما أطيب عَرفه بفتح العين وهو الأنف وما والاه"[4].

هذا ما يخص معناهما في اللغة، أما في الاصطلاح فقد حصل الاختلاف بين علماء المسلمين ومفكريهم ومرجع هذا الاختلاف يعود الى اختلاف مدارس الفكر الإسلامي، لذا سنقف عند كل مدرسة وقفة موجزة لنتعرف على ماهية العلم والمعرفة عندها.

وقف الكثير من علماء المعتزلة من البصريين والبغداديين على معنى العلم والمعرفة ومنهم القاضي عبد الجبار فقد قال في تعريف العلم: "المعنى الذي يقتضي سكون نفس العالم إلى ما تناوله، فليس من العلم في شيء ما لم يطمئن إليه المرء ويعتقده، وذلك فإن المعنى لا يختص بهذا الحكم إلا إذا كان اعتقاداً يعتقده على ما هو به واقعاً على وجه الخصوص"[5].

---

[1]– نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الدكتور راجح عبد الحميد الكردي، مكتبة المؤيد، ط1، الرياض– شارع الأمير ناصر بن عبد العزيز، 1992م: 63.

[2]– أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الشعب، ط1، القاهرة، 1960م: 653.
وينظر: القاموس المحيط، مجيد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المطبعة الأميرية، ط3، القاهرة، 1973م: 3: 153.

[3]– أساس البلاغة: 624–265.

[4]– أساس البلاغة: 624–265.

[5]– المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ت: إبراهيم مدكور و طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للنشر، ط1، القاهرة، 1962م: 13.

وعندما تمعن النظر في كلام العلماء من المعتزلة نجدهم لا يفرقون بين العلم والمعرفة ويسمى العالم عندهم بالعارف ويسمى العارف عالماً[1].

أما معناهما عند فلاسفة المسلمين فهو واحد، فلم نجد الفلاسفة يفرّقون بين العلم والمعرفة، وكلاهما عندهم بمعنى واحد، ولعل أشمل التعريفات وأدقها تعريف ابن سينا إذ جعل العلم والمعرفة والإدراك جميعها بمعنى واحد فيقول: "حصول صورة الشيء في العقل، وإدراك الشيء هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرِك يشاهدها بما بهِ يُدرَك، فإما أن تكون الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك، إذا أدرك فتكون حقيقة ما لا وجود له بالفعل في الأعيان الخارجية، مثل كثير من الأشكال الهندسية، بل كثير من المفروضات التي لا تمكن إذا فرضت في الهندسة و لا تتحقق أصلاً"[2].

ومما يقارب ما أشار إليه ابن سينا في معنى العلم والإدراك تعريف إخوان الصفا للعلم بأنه: "صورة المعلوم في نفس العالم، أو ضرب من الوجود أسمى وألطف وأدنى إلى الوجود المعقول من الأشياء المادية المتحققة في الخارج"[3].

من هذا نستنتج أن العلم والإدراك هما بمعنى واحد عند الفلاسفة وتضاف إليهما المعرفة لتصبح الاصطلاحات الثلاثة كلها بمعنى واحد بعد هذا التعريف للمعرفة على لسان ابن سينا فيقول: "هي انتقاش النفس الإنسانية بنقش العالم العقلي بحسب الاستعداد وزوال الحائل"[4].

والمراد بالحائل هو ما يحول دون وصول المعرفة إلى العقل كأن يكون هذا الحائل خللاً أو عجزاً كلياً أو جزئياً في حاسةٍ ما باعتبار أن الحواس من مصادر المعرفة المساهمة في تحققها في ذهن المدرِك.

---

[1]– ينظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة: 35.

[2]– الإشارات والتنبيهات،أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الرازي ، ت: سليمان دنيا، دار المعارف، ط2، القاهرة: 2: 359–360.

[3]– تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة: د. أبو ريدة، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1938م: 102.

[4]– الإشارات والتنبيهات: 4: 124.

ولكن هناك من فرّق بين مصطلحي العلم والمعرفة وهذا نجده عند علماء أهل السنة، فأوجدوا بينهما عدّة فوارق، أبرزها: "تطلق المعرفة على إدراك البسيط، ويُطلق العلم على إدراك المركب، فتقول: عرفت الله ولا تقول علمته"[1].

وفي الحقيقة أن هناك فرقاً كبيراً بين العلم والمعرفة، فالعلم يراد به الإحاطة، وبما أن المحيط علماً بالشيء تقتضي إحاطته أن تدرك حدوده، وهذا يجعل المحيط أكبر من المحاط به، ولهذا فإن الله تعالى أحاط بكل شيء ولا يحيط بهِ شيء، أما المعرفة فيراد بها إدراك الجزئيات والنظر العميق في شأن جزئية معينة، وعندما نعود إلى منهج الثقلين– منهج الكتاب والعترة– نجد الفرق واضحاً بين العلم والمعرفة، فلو تتبعنا لفظة المعرفة في أحاديث العترة الطاهرة صلوات الله عليهم لوجدناها بالمعنى الذي ذكرناه، وعلى سبيل المثال ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطباً الزبير بن العوام قبل معركة الجمل فيقول: "عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا"[2].

فالمعرفة هنا وفي قبالها الإنكار أراد منها "عليه السلام" بيعة الزبير له في الحجاز وإنكار البيعة ونقضها في العراق، ولو كانت المعرفة مرادفة لمعنى العلم لوجب القول أن الزبير كان لا يعرف علياً "عليه السلام" بمعنى لا يعلم بوجودهِ وهذا مما لا يقبله عاقل.

بعد أن وقفنا على العلم والمعرفة والاتجاهات المختلفة في بيان معناهما نريد أن نقف على طبيعة المعرفة وهل هي ذاتية أم مكتسبة، وإن كانت مكتسبة فكيف يتم اكتسابها وما هي مصادرها؟

في هذا الصدد نجد اتجاهين بارزين، وهما على طرفي نقيض في بيان طبيعة المعرفة ومصادرها، فالاتجاه الأول هو المذهب المثالي، والاتجاه الثاني هو المذهب الواقعي، والمراد بالمذهب هو الطريق التابع لفلسفة معينة فهو اتجاه فلسفي معرفي حيث أن الاتجاه الأول تابع للفلسفة المثالية والثاني تابع للفلسفة الواقعية.

---

[1]– معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، طبعة الهيئة العامة، ط1، القاهرة، 1973م: 2: 35.

[2]– بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار "ع" ، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت: 32: 75.

المعرفة عند المثاليين

كان الرائد في هذا الاتجاه الفيلسوف سقراط ثم تابعه في ذلك تلميذه إفلاطون حيث يرى هذا المذهب الفلسفي أن المعرفة تكمن في ذات النفس الإنسانية وأنها تتصف بما يتصف بهِ العقل الكلي أو ما يعرف بالعقل الإلهي الحاكم على كل القوانين الكونية إذ يقول سقراط في وصف النفس الإنسانية: "عقل خالص شبيه بالعقل الإلهي"[1].

والمعرفة عند المثاليين يكون مصدرها العقل المدرك للقيم الخالدة التي بها قام العالم، وما وجود الأشياء في الواقع إلا تبع لهذا الإدراك الحقيقي، فالأشياء موجودة في العقل الإلهي الكلي الحاكم لطبيعة الحياة قبل وجودها في الواقع الحسي الذي يمكن إدراكه بالحواس المادية.

فالمعرفة تأتي من خلال معرفة القيم الروحية السامية فوق الماديات الواقعية و هذه المعرفة لا يمكن أن تأتي من طريق الحواس وإنما بالإدراك العقلي.

يقول الدكتور يحيى هويدي: "وجود مُثل أو صور للأشياء، وجود هذهِ المثل مفارقة للأشياء، وتقوم هذهِ المثل المفارقة في عقل إلهي"[2].

ووجود الأشياء في الواقع الخارجي بحسب النظرة المثالية ما هو إلا انعكاس لوجودها الحقيقي في عالم المثل الذي يتصف بالكمال والخلود والأبدية و هذا العالم المثالي قد انبثق عنه الواقع الخارجي، فالواقع لا يحظى بأولوية عند المثاليين، وإنما الجدير بالدراسة هو العالم المثالي الذي لا يعتريه نقص ولا يشوبه شيء من الشر وإنما هو خيرٌ مطلق.

المعرفة عند الواقعيين

تُعنى الفلسفة الواقعية بملاحظة الواقع ودراسة القوانين التي تحكمه، وتعد الواقع مصدراً للمعرفة ويتم اكتساب المعرفة المستمدة من الواقع من خلال الحواس بوصفها وسائل للإدراك المعرفي، وهي في جملتها تختلف عن الفلسفة المثالية التي تعد المعرفة كامنة في ذات النفس الإنسانية وأن ما

---

[1]– الفلسفة اليونانية، شارل فرنر، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، ط1، بيروت، 1968م: 68.

[2]– مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط9، القاهرة، 1989م: 168.

في الواقع ما هو إلا انعكاس لعالم المثل والقيم المجردة التي لا يعتريها أي نقصان أو عيب، بينما ترى الفلسفة الواقعية أن المعرفة مكتسبة يتم اكتسابها من الواقع من خلال التجريب والملاحظة والناقل لكل المعارف هي الحواس البشرية.

يقول الدكتور جميل صليبا في وصف الفلسفة الواقعية: "تقول واقعية التفكير أي مطابقته للواقع، والواقعية تطلق على المذهب الفلسفي الذي يقوم على نظرية تحقق المثال، أي تعدّه شيئاً واقعياً وتقدم الواقع على المثال"[1].

أما فيما يخص طبيعة المعرفة ومصادرها فإن المذهب الواقعي يرى أن ماهية المعرفة غير كامنة في النفس الإنسانية التي هي صورة مصغرة عن العقل الإلهي الكلي الذي يحكم قوانين الوجود وأعيان الموجودات، وقد صبّ المذهب الواقعي جلّ اهتمامه بدراسة الواقع بوصفهِ مصدراً لاكتساب المعرفة، فالموجودات المتحققة في الواقع ليست انعكاساً عن عالم المثل العليا، وإنما لها وجودها المستقل عن الوجود الإدراكي للنفس الإنسانية التي عدّها المثاليون مصدراً كامناً للمعرفة، يقول وولف: "إن للأعيان الخارجية وجوداً مستقلاً عن أي عقل يدركها، وإن العقل إنما يدركها على ما هي عليه بقدر طاقتهِ"[2].

وهذا القول يؤدي إلى الاعتقاد بأن المعرفة نسبية يختلف تحققها من شخص إلى آخر وهي مختلفة باختلاف قوة الإدراك وطاقة الاستيعاب في اكتساب المعرفة من الواقع بوصفه مصدراً لها عند الواقعيين.

والاختلاف بين المثاليين والواقعيين هو في تحديد طبيعة المعرفة، مع عدم نكران الجانب الذي اعتمده كلٌ منهما، فلا نرى المثاليين يُنكرون الواقع، ولا نرى الواقعيين ينكرون المعرفة في النفس البشرية، يقول الدكتور نبوي جعفر: "ليس في تسليم أحد الجانبين بوجود الفكر بالتعبير المألوف أو

---

[1]– المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1971م: 2: 552.

[2]– فلسفة المحدثين المعاصرين، وولف، ترجمة: د. أبو العلا عفيفي، لجنة التأليف والنشر، ط2، القاهرة، 1944م: 16.

العقل بالتعبير الفلسفي، ونكران وجوده للجانب الآخر؛ لأن كلاً منهما يسلم بوجود الفكر ولكن اختلافهما نابع من تفسير طبيعة هذا الفكر أو العقل وصلته بالجسم"[1].

فالواقعيون لا ينكرون أهمية العقل الكلي والمعرفة الكامنة في النفس الإنسانية ولكن يقدمون الواقع على عالم المثل، والواقعية "لا تريد أن تضحي بوجود الطبيعة والأشياء في سبيل الذات، أو تريد أن تحدّ من تأثير الذات واتجاهاتها الشخصية في الحكم على الأشياء، وإذا كنا نستطيع أن نعرّف المثالية بأنها هي الفلسفة التي تميل إلى قراءة الطبيعة من خلال الذات وتربط بين وجود الأشياء بعجلة الذات بحيث لا تجعل الذات مسؤولة عن معرفة الأشياء فحسب، بل عن وجودها أيضاً ... فإن الواقعية تميل على العكس من ذلك إلى الاعتراف بوجود مستقل للطبيعة وللأشياء، وتقلل بقدر الإمكان من أثر الذات، وإن كان لها أثر غير مذكور في معرفتنا للأشياء، فإننا لا نستطيع أن ندعي أنها تخلق وجود الأشياء"[2].

المعرفة الوحيانية

إن مصادر المعرفة قد تعددت بتعدد الاتجاهات والفلسفات والمذاهب العقلية والدينية وغيرها فدائما ما نلاحظ أن طبيعة المعرفة تميل بحسب المذهب الذي تتبعه وهذا قد بات واضحاً جلياً في الاتجاهين المثالي والواقعي كما مرّ علينا، والآن ونحن في معرض الكلام عن طبيعة معرفية مختلفة تماماً عن الاتجاهين السابقين، وهي المعرفة المتأتية من طريق الوحي، أي أن الغيب في هذه الحال يكون المصدر الحقيقي للمعرفة، وتعتبر هذهِ المعرفة أن كل ما يخالف ما أقرّه الوحي الذي هو غيب مطلق ما هو إلا باطل يُراد بهِ إضلال الناس أو أنه صادرٌ عن جهلٍ أو قولٍ بغير علم أو اجتهاد ذلك أن الظن لا يغني من الحق شيئاً وهذا من صريح القرآن الكريم وبديهيات الإسلام وثوابتهِ.

ولابدّ من الإشارة إلى أن المعرفة الوحيانية لا تكون إلا لشخصٍ بعينهِ يكون رسولاً من الله إلى الناس أو حجة لله في الأرض، إذ أن هذهِ المعرفة غير متاحة لكل شخص أو لكل من يرغب فيها،

---

[1]– الفكر وطبيعته وتطوره، د. نبوي جعفر، دار الكتب، ط1، 1970: 10.

[2]– مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي: 187.

فالمسألة هنا تعود إلى الله عز وجل، هو أعلم حيث يضع رسالته والعالم بمن هو أهل لذلك الاصطفاء للتبليغ عنه سبحانه وليكون هذا الشخص هادياً ومبشراً ونذيراً.

والوحي في هذهِ الطبيعة المعرفية الغيبية مصدره العلم الإلهي الذي أحاط بما كان وما يكون وما هو كائن، وقد وردت لفظة الوحي ومشتقاتها في مواضع متعددة من القرآن الكريم والحديث الشريف، وعلى سبيل المثال: قوله تعالى ذكره: " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً"[1].

وقوله جلّ جلاله: " قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ"[2].

وقوله سبحانه: " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً"[3].

وقوله تعالى: " قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ"[4].

والآيات التي ذكرت الوحي أو تعرضت لطبيعته وصفة ما يوحى بهِ إلى النبيين "عليهم السلام" كثيرة لسنا في مقام إحصائها؛ وإنما لنثبت أن هذهِ المعرفة ليست متاحة لكل إنسان وإنما تقع على من يقع عليه الاختيار الإلهي فقط، ثم أن هذهِ المعرفة توجب تصديق الرسول الذي يبلغها بأنها رسالة من الله عز وجل إلى الناس، فهي معرفة غير خاضعة للاختيار وغير قابلة للرد أو الإضافة عليها؛ لأنها كاملة، وهذه المعاني نجدها جلية في آيات الكتاب الكريم كقوله تعالى: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[5].

---

[1]– طه: 114.

[2]– الأنبياء: 45.

[3]– النساء: 163.

[4]– الأنعام: 19.

[5]– المائدة: 3.

التمهيد :.....

وبما أن علم الله تعالى علم كامل لا يشوبه نقص يعلم عز وجل ما كان وما يكون وما هو كائن فإنه تعالى اختار صفوةً من خلقهِ لتبليغ رسالتهِ وخلق هذهِ الصفوة قبل أن يخلق الأشياء، وجعل هذهِ الصفوة هي الغاية من خلق الأشياء فمعرفتهم هي بعينها معرفة الله، وهذهِ المعاني نجدها واضحة في حديث العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن الشواهد على ذلك ما جاء في خطة سيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها في جموع المهاجرين والأنصار تصف فيها اختيار الله عز وجل لأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن يخلقه وقبل أن يخلق جميع الخلائق، فتقول (عليها السلام): "وأشهد أن أبي محمداً (صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، اختاره وانتجبهُ قبل أن ارسله، وسمّاه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثهُ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثهُ الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه"[1].

فالمعرفة الوحيانية هي معرفة مرتبطة بالغيب، هي معرفة لا ريب فيها ولا نقص، وهذا لا يعني أن المعرفة الوحيانية تنكر أهمية الواقع أو تعطل دور الحواس التي وهبها الله تعالى للإنسان واحتج بها عليه، فلو عدنا إلى كتاب الله عز وجل لوجدنا الكثير من الآيات الكريمة التي ترفع من شأن الحواس وأهمية التفكر وإعمال العقل، فالتشريع يناسب التكوين، ومن المستحيل أن نجد تعارضاً بين التشريع والتكوين؛ لأن الذي خلق هو الذي شرّع، فالله تعالى خلق الخلق وشرع لهم منهاجاً يصلح لهم إذا ما استقاموا عليه وتمسكوا بهِ، فهو الخالق والعالم بما يتناسب مع أحوال خلقهِ، ومن الآيات الكريمة التي ترفع من شأن الحواس وأهمية التفكر:

قوله عز وجل: " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ"[2].

وقوله عز وجل: " أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ"[3].

---

[1]– بحار الأنوار: 29: 221.

[2]– الأعراف: 179.

[3]– البلد: 8–10.

وقوله عز وجل: " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[1].

وقوله تعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ"[2].

فنرى القرآن العظيم يولي أهمية كبيرة للحواس كالسمع والبصر وما ينتج عنهما من إدراك عقلي؛ بل وجعل الله تعالى هذهِ الحواس مدخلاً للعلوم تقود الإنسان إلى معرفة ربهِ ومعرفة عظمتهِ من خلال العمل السليم لهذهِ الحواس، فما فائدة العين التي لا تُبصر والأذن التي لا تسمع، ثم أن الله عز وجل يخاطبهم بقوله (أفلا تبصرون)، فالسمع والبصر من نعم الله على الإنسان والله تعالى يحتج بها عليه، ومن مواطن الاحتجاج بها في القرآن الكريم قوله تعالى: " أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ"[3].

وقال تعالى: " يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[4].

فالحواس من النعم الكبيرة التي أنعم الله بها على الإنسان ومنّ بها عليه فمن أساء استعمالها كانت حجة عليه يوم القيامة.

أما في شأن كيفية الإدراك السليم والتفكر في عظيم خلق الله تعالى فقد قال الله تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[5].

---

[1]– ق: 37.

[2]– القصص: 72.

[3]– الطور: 15.

[4]– النور: 24.

[5]– البقرة: 164.

وقال تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "[1].

فالحواس وسائل إدراك لابدّ من إعمالها وتوظيفها في سبيل معرفة الحقيقة والذي يعطل هذهِ الحواس وتتوقف عنده عملية الإدراك المعرفي يكون كالأنعام بل أضل من الأنعام سبيلا.

ولكن هناك سؤلاً قد يخطر على البال ولابدّ من الإجابة عليه وهو لماذا لا يكون العقل هو مصدر المعرفة الوحيد ولماذا عدَّت المعرفة الوحيانية الوحي الغيبي مصدراً للمعرفة؟ وفي هذهِ الحال يكون العقل منضبطاً بما جاءه من معرفة من طريق الوحي الذي أوحى اللهُ به إلى الرسل والأنبياء (عليهم السلام).

للجواب على هذا السؤال يمكن القول بأن المعرفة المتأتية من طريق الوحي هي منظومة معرفية إلهية تتصف بالعصمة ذلك أن مصدرها هو العلم الإلهي الذي لا تخفى عليه خافية، فتكون هذه المعرفة ملائمة تمام الملاءَمة مع طبيعة التكوين، وفي النتيجة يكون هناك تطابق كامل بين التشريع والتكوين.

أما العقل البشري فلا يمكن لنا أن نصفهُ بالكمال، فالعقول ناقصة ومتباينة من شخص إلى شخص، ولهذا نجد أن الناس مختلفون في مستويات إدراكهم ولا نراهم قد أجمعوا على جزئية واحدة وهذا الاختلاف يعود بطبيعة الحال إلى اختلافٍ في عقولهم وفي مستويات الإدراك لديهم، ومن هنا ينتفي القول أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة لما يعتريه من نقص وما يُلاحظ فيه من تباين بين شخص وآخر، على أن تعريف ماهية العقل هو بحد ذاته موضع اختلاف بين المدارس الفكرية، ولكل تعريف ما يلزمه من منحى فكري وتفسيري وبياني ودلالي وغير ذلك وعلى الرغم من وجود من يعد هذا الاختلاف غنى وثروة إلا انه لا يمكن إنكار أن هذا الاختلاف يلزم تعدد الإله الواحد لاختلاف الأوامر وما يلزم من التقاطع والتنافي.

---

[1]– آل عمران: 190–191.

التمهيد :.....

ولابد من بيان أمرٍ في غاية الأهمية وهو أن المعرفة التي تأتي من خلال الوحي هي معرفة كاملة فيها بيان لكل شيء تقتضي أن يكون الموحى إليه شخصاً كاملاً يتصف بجميع صفات الكمال ليكون مؤهلاً لاستقبال هذا الوحي بما يتضمنهُ من معارف إلهية، فهذا الشخص وجب أن يكون كاملَ العقل متصفاً بالعصمة لا ينطق إلا عن الله عز وجل ولا يفعل شيئاً إلا بأمر الله تعالى.

ولكي يتضحَ الأمر أكثر لابد لنا من إلقاء نظرة على ما جاء في حديث العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم) في بيان أحوال الشخص الذي اختاره الله تعالى ليكون حجة على عباده وخليفته في بلادهِ، والأحاديث في هذا الشأن كثيرة، ومنها:

روى الكليني رحمه الله في الكافي عن مولانا أبي الحسن الرضا صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: "الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مِثْلٌ ولا نظير، مخصوصٌ بالفضل كله، من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المُفضل الوهاب"[1].

بقي أن نذكر أن المعرفة الوحيانية غير قابلة للاجتهاد أو الإضافة أو الحذف وهذا لا ينفي الاختلاف في فهم النص، فقد يتعدد الفهم للنص الواحد، ولكن المبتنيات العقدية لهذا المنهج غير قابلة للاجتهاد ولا تُطلب إلا من نصوص الكتاب الكريم وحديث العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، ومن قال في دين الله برأيه فهو ضال مضل، ومما ورد في هذا الشأن:

عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه: "إياك وخصلتين ففيهما هلكَ من هلك: إياك أن تفتي الناس برأيك أو تدين بما لا تعلم"[2].

ولا يتبادر إلى الأذهان أن الإفتاء هنا يخص جنبة التشريع فقط أي ما يخص الحلال والحرام، وإنما يشمل من فسّر القرآن برأيهِ فعن زياد بن أبي رجاء، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال:

---

[1]– الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط11، بيروت، 2005، 1: 114–115.

[2]– المصدر نفسه: 1: 28.

"ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم، إن الرجلَ لينتزعُ الآية من القرآن يخرُّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض"[1].

و الإمام هو الراسخ في العلم الذي نصبه الله عز وجل، وقد صرّح القرآن الكريم، أنه لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): "نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله"[2].

والروايات في هذا الشأن كثيرةٌ لا يكاد كتاب من كتب الحديث الشريف يخلو منها، وقد عُقدت أبواب كاملة في كتب الحديث في هذا المعنى.

لو عقدنا مقارنة سريعة وموجزة بين خصائص المعرفة وطبيعتها وأدواتها وحدودها بين المعرفة الواقعية والمعرفة الوحيانية لوجدنا فرقاً شاسعاً بينهما ؛ وذلك أن المعرفة الواقعية أقرت بوجود كل ما يمكن إدراكه بالعقل عن طريق الحواس المادية التي تعد وسائل للإدراك المعرفي، وهذا يؤدي إلى القول بانعدام أي شيء لا يُرى ولا يُلمس ولا يُسمع وهذا إنكارٌ صريح لوجود الغيب، بينما المعرفة الوحيانية تجعل الإيمان بالغيب هو الأصل المعرفي الذي يتفرع عنه كل خير ورُشد، بل أن الجانب الأكبر من ديننا هو الجانب الغيبي، والآيات والروايات في هذا المعنى كثيرة جداً نكتفي بنص واحد من سورة البقرة المباركة.

قال تعالى ذكره: " الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"[3].

فأول صفات المتقين هي الإيمان بالغيب وبعدها تتوالى الصفات التي ذكرت في الآيات الكريمة.

---

[1]– المصدر نفسه: 1: 28.

[2]– المصدر السابق: 1: 122.

[3]– البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط1، 2008م: 1: 108.

الإمام الباقر (عليه السلام) ومروياته القرآنية

قد يسعفنا الكلام في إيضاح أمر داخله اللبس أو أنه لم يبلغ حدّاً من الشهرة فيحتاج إلى تعريف أو إيضاح، أو عندما نذكر شخصية علمية لم تبلغ شهرتها أقطار البلدان ولم تسر بها الركبان، فكيف بنا ونحن نذكر رجلاً كالشمس سطع نوره فأضاء المشرق والمغرب رجلاً غنياً عن التعريف بل لا نستطيع التعريف به وذلك بدليل قول الإمام أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه: "فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسأت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيَّرت الحكماء.....، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله"[1].

فلا يعرف قدر الإمام وعظيم منزلته ورفيع مكانتهِ إلا الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار صلواتُ الله عليهم، ولكن تحت هذا العنوان لابدّ من وقفة سريعة تسلط الضوء على الجنبة التأريخية من حياة الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، وهذا يساعد في معرفة أحوال عصره الذي كان يعيش فيه وفهم الواقع الذي وصلت إليه الأمة بعد مقتل سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وكم عانى هذا الإمام من ذلك الواقع، ورغم كل التحديات والصعوبات نرى أن نور علمه شقّ ظلام الجهل وكيف حفظ الله عز وجل دينه من الضياع على يديه وعلى يدي ولدهِ الإمام أبي عبد الله الصادق (عليهما السلام) فلولا ما رُوي عنهما لاندرست معالم الدين ولما وقفنا على علم الحلال والحرام وتفسير القرآن.

---

[1]– الكافي: 1: 115.

نسبه ومولده (عليه السلام)

هو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، وهو العلوي الفاطمي المدني، وأمه السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن الزكي المجتبى سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) [1].

"وُلد أبو جعفر (عليه السلام) سنة سبع وخمسين وقبض سنة أربع عشرة ومائة وله سبع وخمسون سنة ودفن بالبقيع"[2].

وأما تسميته بالباقر فهذا ليس وصفاً أطلق عليه من قبل سائر الناس كما يطلق على بعض علماء الأمة من صفات التعظيم والإجلال وإنما هو اسم من الله عز وجل على لسان الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (صلى الله عليه وآله).

وقد يُطرح سؤال هنا كيف أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد سماه بالباقر ولم يدركه؟ والجواب في هذه الرواية الشريفة:

"عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو معتجر بعمامة سوداء، وكان ينادي يا باقر العلم يا باقر العلم وإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً"[3].

وأما ما روي عنه (عليه السلام) من مرويات في تفسير القرآن فهي كثيرة وفيها من العلوم والمعارف الشيء الكثير، فقد حرّم الإمام (عليه السلام) التفسير بالرأي وحذر الأمة منه، وعندما

---

[1]– ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن محمد الذهبي، دار الحديث، ط1، القاهرة، 2006م: 4: 402.

أيضاً: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، ت: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1972م: 3: 314.

[2]– الكافي: 1: 281.

[3]– الكافي: 1: 281.

التمهيد :.....

نقرأ ما روي عنه في تفسير القرآن نرى فهماً مختلفاً عمّا نجده في سائر تفاسير المسلمين؛ لأنه الناطق عن الله عز وجل وهو العالم بالمقاصد الإلهية، فقد اختصه الله عز وجل بعلم التأويل كما اختص رسوله (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام)، ولم يكن يعتمد في تفسير القرآن على اللغة العربية فحسب فيفسر النص القرآني كما يُفسر الشعر عند العرب.

وسوف نرى خلال هذا البحث المعاني التي بيَّنها الإمام (عليه السلام) والعمق المعرفي الذي سبره في فهم النص القرآني وتفسيره، واعتمدنا أوثق المصادر الحديثية في مكتبتنا الإسلامية لانتقاء أحاديث الباقر صلوات الله عليه وتجنبنا المصادر الضعيفة التي تخالف منهج أهل البيت (عليهم السلام).

ولقد تصدى الإمام الباقر (عليه السلام) للفرق المخالفة لمنهج الحق في عصرهِ وردَّ عليها وناظر كبار علمائها وفقهائها ومفسريها ومن ذلك ردّهُ على المُلحدين والدهريين ومنهم: طاوس اليماني "إذ اقبل طاوس اليماني في جماعة من اصحابه ثم قالَ لأبي جعفر: اتأذن لي في السؤال، فقال (عليه السلام): أذنا لك، فسلْ، قال: اخبرني متى هلكَ ثلث الناس؟ فقال (عليه السلام): وهمتَ يا شيخ أردت ان تقول: متى هلك ربع الناس ؟ وذلك يوم قتل قابيل هابيل، كانوا اربعة: آدم وحواء وقابيل وهابيل فهلك ربعهم"[1].

وكذلك قد تصدى للرد على المعتزلة في مسألة خلق القرآن وخلافهم مع أهل السنة وردَّ على الفريقين بقوله (عليه السلام): "عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن القرآن، فقال لي: لا خالق ولا مخلوق ولكنه كلام الخالق"[2].

وكذلك قد تصدى للعلماء الذين فسروا القرآن بآرائهم ومن ذلك، عن أبي حمزة الثمالي قال: "أتى الحسن البصري أبا جعفر (عليه السلام) فقال: جئتك لأسألك عن أشياء من كتاب الله.

فقال أبو جعفر: ألست فقيه أهل البصرة؟ قال: قد يقال ذلك.

فقال له أبو جعفر (عليه السلام): هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟

---

[1]– الاحتجاج، احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، المطبعة المرتضوية، النجف، ط1، د.ت: 2: 58.

[2]– تفسير العياشي: 1: 6.

قال: لا. قال: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟

قال: نعم. فقال أبو جعفر: سبحان الله لقد تقلد عظيما من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت، أم يكذب عليك؟

قال: ما هو؟ قال: زعموا أنك تقول: أن الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم.

قال: فسكت الحسن. فقال: رأيت من قال الله له في كتابه: أنك آمن، هل عليه خوف بعد هذا القول منه.

فقال الحسن: لا. فقال أبو جعفر عليه السلام: إني أعرض عليك آية وأنهي إليك خطابا، ولا أحسبك إلا وقد فسرته على غير وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت.

فقال له: ما هو؟ قال: أرأيت حيث يقول: (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) يا حسن بلغني أنك أفتيت الناس فقلت: هي مكة. فقال أبو جعفر عليه السلام: فهل يقطع على من حج مكة، وهل يخاف أهل مكة، وهل تذهب أموالهم؟

قال: بلى قال: فمتى يكونون آمنين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها، وذلك قول الله عز وجل، فمن أقر بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال: (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها)" [1].

[1]– الاحتجاج: 2: 57.

الفصل الأول

الشكل

- ❖ المبحث الأول: الإفراد
- ❖ المبحث الثاني: التركيب
- ❖ المبحث الثالث: السياق

إن النص الأدبي في اللغة يقوم على ركيزتين أساسيتين هما اللفظ والمعنى، فالنص الأدبي يتألف من جمل وهذه الجمل تتألف من كلمات والكلمات تتألف من مقاطع صوتية وحروف، وهذا ما يمكن أن يُسمى بالشكل في الدراسات النقدية الأدبية.

أما الركيزة الثانية فهي المعنى إذ أن لكل لفظة في اللغة معنى أو عدة معانٍ، فهناك من الألفاظ ما يشتمل على معنى واحد، وهناك ما تتعدد فيها المعاني، ولمعرفة مقاصد النص الأدبي لا يمكن لنا أن ندرك المراد من الصياغة اللفظية الذي أراد إيصاله مبدع النص من خلال الاقتصار على دراسة دلالة المفردة أو اللفظة فقط، أي أنه لا يمكن أن تدرس الألفاظ بمعزلٍ عن سياقها الكلامي الذي وردت فيه، فكم من مفردة يمكن أن تُفهم على شاكلة معينة لو أُخذت ودُرست لوحدها من دون سياق ترد فيه، بينما نجد أن هذه المفردة نفسها يتغيَّر معناها وتختلف دلالتها في حال ورودها في سياق معين.

إن لغة العرب هي لغة الوضوح والبيان وفي الوقت نفسه هي لغة الجمال والفن والإبداع بل لنقل أنها لغة السحر الذي يأخذ جماله بزمام القلوب الواعية لما في اللغة من مواطن الجمال وما فيها من البلاغة وإصابة المعنى الدقيق من دون تعبيرٍ مترهلٍ أو إطالة من دون فائدة إذ لا يقع الملل في قلب السامع ولا يعتريه السأم، فالعربية لغة الإيجاز غير المخل بالمعنى فتأتي معانيها على قدر ألفاظها وألفاظها على قدر معانيها على لسان من تمكن منها وأدرك مواطن الجمال فيها.

ولعلنا عندما نقول أن العربية تصاغ ألفاظها وأساليبها كما ينبغي فهي لغة السحر لا نجانب الصواب في ذلك، فقد وردت هذه الكلمة على لسان من لا ينطق عن الهوى على لسان خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) عندما قال: "إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة"[1].

إن القران هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفهِ وأنه أفصح كلام وأبلغ بيان، وأنه خير النصوص شكلاً ومضموناً، وأن إمامنا أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن

---

[1]– صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، ط4، 1997م: 324.

وينظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009: رقم الحديث 5011.

أبي طالب (عليهم السلام) هو إمام ناطق عن الله عز وجل وأنه الحجة من الله على عباده وأنه العالم بتفسير القرآن وتأويله، وهنا يجتمع عندنا يقينان: يقين بكتاب الله ويقين بمن فسّر هذا الكتاب العزيز.

وبما أن هذا الفصل يدرس الشكل النصي للكتاب الكريم لابدَّ أن نقف على معنى الشكل في اللغة والاصطلاح:

الشكل لغةً: "المِثْل، يُقال: هذا على شكل هذا، أي: مثل هذا، وشاكل هذا ذاك من الأمور أي: وافقه وشابهه، والجمع أشكال وشكول"[1].

أما مفهوم الشكل اصطلاحاً فقد عرّفه الدكتور أسامة محمد البصيري بأنه: "هو الأسلوب أو طريقة التعبير عن الفكرة، ودعا الشكليون الروس الى الاهتمام بالعناصر الشكلية قبل أي عناصر أخرى؛ لأن الشكل هو الأسلوب الفني للأدب"[2].

ولقد أولى القدماء من النقَّاد مسألة الشكل والمضمون أهمية كبيرة ومنهم: ابن قتيبة في كتابهِ الشعر والشعراء فقال: "تدبرت الشعر فوجدتهُ أربعة أضرب: ضربٌ حسن لفظه وجاد معناه، وضربٌ حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشتهه لم تجد هناك فائدة في المعنى، وضربٌ منه جاد معناه وقصرت الفاظه، وضربٌ منه تأخر معناه وتأخر لفظه"[3].

---

[1]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت175هـ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1986م: 5/ 295 (مادة شكل).
والشكل في العربية دراسة لغوية تاريخية، الدكتور أحمد عبد الكاظم علي، دار الصادق، الحلة، ط1، 2023م: 21.

[2]– المصطلحات الأدبية والنقدية، أسامة محمد البصيري، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2021م: 67.

[3]– الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري ت 276هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت: 69، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1937م: 118، وينظر: النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1968م: 271، وعيار الشعر، محمد بن أحمد العلوي، تحقيق: د. طه الحاجري، المكتبة التجاري الكبرى، =القاهرة، 1956م: 81، و قضايا النقد الأدبي والبلاغة، د. محمد زكي العشماوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط2، 1968م: 224.

ومنهم من حاول أن يظهر اهتماماً أكبر بالألفاظ وجودتها وكان على رأس هذه الطائفة من النقَّاد أبو عثمان الجاحظ ت 255هـ فقد قال: "والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن وتخيَّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وجودة السبك"[1].

ولقد تعرض عبد القاهر الجرجاني ت471هـ لمسألة الشكل والمضمون وحاول الموازنة بينهما من دون الميل إلى واحدٍ منهما دون الآخر واعتبر الكلام الفصيح هو ما تناسب فيه الشكل مع المضمون، وقد اطال الكلام في ذلك، وجعل الحكم على اللفظ بالفصاحةِ أو عدم الفصاحة عملية نفسية عند المتلقي فيقول: "فنحنُ الذين نتمثل في اللفظ المهابة أو الدماثة، وإلا فهي بعيدة كل البعد عن هذه أو تلك"[2].

ومن كبار النقاد والبلاغيين الذين تعرضوا لمسألة اللفظ والمعنى أبو هلال العسكري ت 395هـ فقد رفع من شأن الألفاظ جاعلاً منها معياراً لجودةِ الكلام وبراعة قائله، يقول: "فمن شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوماً واللفظ مقبولاً، ومن قال: أن البلاغة هي إفهام المعنى فقط فقد جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة سواء، فالبلاغة هي إيضاح المعنى وتحسين اللفظ"[3].

---

[1]– الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ت255هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ: 3: 135.

[2]– اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ت 471، تحقيق: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991م: 86، وينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1968م: 206.

[3]– الصناعتين، ابو هلال العسكري ت 395هـ، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981م: 12-13.

المبحث الأول

الإفراد

لقد اهتم العلماء القدامى والمحدثون من أرباب التفاسير والمعجمات اللغوية بدراسة بُنية النص القرآني وأطالوا الوقوف والإمعان في مقاصدهِ الجليلة لمعرفة مراد الله عز وجل، فإن القرآن هو عهد الله إلى خلقهِ، ولو رجعنا إلى تراثنا المعرفي في جانب التفسير لوجدنا الكثير من التفاسير التي تناولت دلالة المفردة القرآنية وحاولت أن تسبر أغوار دلالتها العميقة من خلال الرجوع إلى معجمات اللغة والبحث في دلالة الألفاظ وما عرف واشتهر في لغة العرب كون أن القرآن الكريم نزل بلسان العرب ولاقت آياته تفاعلاً كبيراً من قبلهم حتى من الذين أنكروا الوحي ووقفوا موقف العداوة والإنكار من النص القرآني ومن نبي الاسلام (صلى الله عليه وآله).

ولعل أشهر التفاسير قد اعتمدت في إيضاح مقاصد القرآن على اللغة العربية ودراسة ألفاظها وأساليبها البلاغية مع ذكر بعض الروايات والأحاديث والآثار النبوية المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة من ولده (عليهم السلام) وكذلك ما روي عن الصحابة الذين رووا عن النبي (صلى الله عليه وآله).

وجاءت هذه الروايات لإيضاح بعض المعاني التي تقف عندها اللغة موقف العجز كأسباب النزول والمقاصد الغيبية والوجوه التأويلية التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، ولو دققنا النظر في كتب التفسير لوجدناها تنقسم إلى تفاسير لغوية وتفاسير مأثورة، ولا حاجة الى ذكر التفاسير التي ارتكزت على التفسير بالرأي والاعتماد على المكاشفات الصوفية والمنامات والرؤى فإن هذا النوع من التفسير لا يتصل بشيء من الدليل والحجة وبالنتيجة فهو ليس علماً نافعاً يمكن ان تُعرف به مقاصد النص القرآني، فما الدليل على ثبوت التفسير بالرأي والأخذ بهِ مع وجود الكثير من الآيات والروايات الشريفة التي حرمت هذا النوع من التفسير وتوعدت أصحابهُ بالهلاك وأنهم ضالون ومضلون.

في هذا المبحث الذي يسلط الضوء على المفردة القرآنية وطبيعتها وكيفية تفسيرها من قبل الإمام الباقر (عليه السلام) نحاول أن نتعرف على طبيعة ألفاظ القرآن الكريم قبل أن نأتي على ذكر الروايات الشريفة التي فسرت لنا مفردات القرآن وكشفت عن مقاصدها الإلهية، ومن المعلوم

عند قدامى النقاد أن هناك من الألفاظ ما تكون سهلة لينة لا تكلف فيها ولا غرابة، وهناك من الألفاظ ما تكون غريبة أو لا تستسيغ الأذن سماعها، فقد نقل الرماني في مسألة التنافر في الألفاظ أو تنافر حروف الكلمة الواحدة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه قال: "فالسبب فيه البعد الشديد أو القرب الشديد، وذلك أنه إذا بَعُدَ البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي القيد؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال؛ ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال"[1].

وقد اهتم الخليل بنغمة الكلمة الناتجة عن انسجام الحروف في الكلمة الواحدة وكان يُنكر الكلمات الشنعاء التي لا تستحسنها الأذن، فقد أنكر كلمة (الهعخع) لما فيها من تنافر[2].

وقد أشار ابن رشيق القيرواني إلى سبب آخر غير الذي أشار إليه الخليل ألا وهو التقارب من خلال تكرار الحروف والألفاظ مع قرب مخارج تلك الحروف وذكر أنه يسبب الثقل في اللفظ واستدل ابن رشيق برأي ابن العميد ناقدا قصيدة أبي تمام في قوله: "عاب ابن العميد حبيباً لقوله:

كريما متى أمدحه أمدحه والورى

معي ومتى لمته لمته وحدي"[3]

فنلاحظ أنه كرّر (أمدحه) مرتين من دون فاصلٍ بينهما، وكرّر كذلك (لمته) مرتين أيضاً من دون فاصل، وجمع بين حرفين يصعب الجمع بينهما وهما الحاء والهاء مما يسبب فقدان النص الأدبي للجمالية التعبيرية التي تؤثر في المتلقي.

بينما نلاحظ أن التكرار في القرآن الكريم جاء سلساً ليس فيه أي تكلف أو غرابة، فلا نجد في حروف المفردات القرآنية شيئاً مثل هذا الذي نقله ابن رشيق وانكره لما فيه من رتابة وثقل إذ يصعب النطق بهكذا نظم من الشعر.

---

[1]– النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)، ت: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1968م: 96.

[2]– سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح للمطبوعات، القاهرة، ط1، 1969م: 48.

[3]– العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، مطبعة هندية، القاهرة، ط1، 1925م: 2: 204.

ولقد عيب على أبي الطيب قوله:

"إنَّ الـكـريـمَ بِـلا كـرامٍ مـنـهـم

مـثـلُ الـقـلـوب لا ســـويـداواتِـهـا"

فسويداواتها كلمة طويلة جداً[1].

عند النطق بهذهِ الكلمة نجد مشقة لا تخفى ليس بسبب طولها وكثرة حروفها فحسب وإنما لثقل حروفها، وقد نجد بعض المفردات القرآنية كثيرة الحروف ولكن لا نجد فيها هذا الثقل كقوله عز وجل: "فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[2]، فكلمة (فسيكفيكهم) هي جملة كاملة تتألف من فعل وفاعل ومفعولين ولكن يمكن النطق بها بكل سهولة ويُسر.

وفي هذا المبحث الذي يدرس فهم المفردة القرآنية بحسب مرويات الإمام الباقر (عليه السلام) نلاحظ فيما سيأتي من البحث اختلافاً كبيراً بين الفهم الذي قدمه الباقر (عليه السلام) وبين ما قدمه أصحاب التفاسير والاختلافات الكبيرة بينهم في فهم مقاصد القرآن، وقد وقع الاختيار على مجموعة من المرويات الشريفة التي صحَّ سندها وثبت متنها، وقد أتينا بها من أوثق كتب الحديث عند أتباع أهل البيت (عليهم السلام) تلك الكتب التي شهد بصحتها كبار الأعلام من مراجع الشيعة ومنهم السيد المحقق أبو القاسم الخوئي (رحمه الله)، وقد شهد بصحتها عدد كبير من الأعلام ممن سبقوه كالشيخ المفيد والشيخ الصدوق والسيد هاشم البحراني وغيرهم من كبار المحدّثين من القدماء والمحدثين، وهذا ليس مقام بحث أسناد الروايات؛ لأن هذا من اختصاص علم الرجال وإنما هو مقام دراسة النص وفق مستوياته اللغوية وأبعاده الدلالية، ومن الأمثلة في فهم المفردات القرآنية:

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْكَلْبِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ (عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ)، فِي قَوْلِهِ: اُدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً: «هُوَ وَلاَيَتُنَا»[3].

في هذه الرواية الشريفة فسر الإمام (عليه السلام) السلم بالولاية، فما هي اللازمة المعرفية بين الولاية والسلم؟ قبل أن نبحث هذهِ المسألة لابدّ من الانتباه إلى أن الخطاب القرآني في هذه الآية

---

[1]– سرّ الفصاحة: 78.

[2]– سورة البقرة، الآية: 137.

[3]– تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة الإسلامية، طهران، ط11، 1380هـ: 1: 6.

موجه إلى الذين آمنوا فقط، فالخطاب في هذا المقام لا يشمل الذين كفروا ولا المشركين ولا أهل الكتاب من أصحاب الملتين اليهودية والنصرانية، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ"[1].

والغريب أن الكثير من المفسرين فسروا (السلم) فقالوا أنه الإسلام، ومن هؤلاء ابن كثير فيقول: "قال العوفي: عن ابن عباس، ومجاهد، والضحَّاك، وعكرمة، وقتادة، والسُّدي، وابن زيد في قوله: (ادخلوا في السلم) يعني: الإسلام"[2].

وفي الحقيقة أن هذا التفسير غريب جداً واللازمة اللغوية تشهد على ركاكتهِ وضعفه من خلال سياق الخطاب القرآني؛ لأن السياق موجه نحو الذين آمنوا، فكيف يأمرهم الله بالدخول في الإسلام ومع ذلك يشهد لهم بأنهم مؤمنون؟!! لأنه يستحيل أن يكون الشخص مؤمناً وهو ليس بمسلم هذا أولاً، وثانياً: إن الإيمان أعلى رتبةً من الاسلام بدليل قوله تعالى: " قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[3].

فالقرآن ينكر على الأعراب قولهم وادعاءهم أنهم من المؤمنين، وصحح القرآن قولهم وصوّبه فقال لهم: (ولكن قولوا أسلمنا)؛ لأن الإسلام يشمل كل شخص شهد الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)، ولكن الإيمان يوجب صحة الاعتقاد واليقين وانتفاء الشك وانعدام النفاق بدليل قوله عز وجل: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ"[4].

وعندما نقرأ هذا اللون من التفسير تطرأ في أذهاننا الكثير من الأسئلة والإشكالات وأبرزها:

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 208.

[2]– تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت774هـ، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000: 267.

[3]– سورة الحجرات، الآية: 14.

[4]– سورة الحجرات، الآية: 15.

كيف يأمر الله الذين آمنوا بالدخول في الإسلام وهو يشهد لهم بأنهم في مرتبة الإيمان وهي أعلى من الإسلام ؟!!

وكيف أجمع كل أولئك المفسرون كابن عباس ومجاهد وغيرهما ووافقهم ابن كثير على هذا الرأي؟!!

ثم هل الذين آمنوا من الكفار حتى يأمرهم الله بالدخول في الإسلام ؟!!

كل هذه الأسئلة لا نجد لها جواباً شافياً كافياً مما يدل على ضعف هذا التوجيه من قبل المفسرين لمعنى كلمة (السلم).

أما التفسير الذي جاءنا على لسان الإمام الباقر (عليه السلام) فهو تفسير منسجم تمام الإنسجام مع النص القرآني من خلال هذهِ الأدلة:

أولاً: إن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) عصمة من الضلال، وتوحيد للطاعة إذ تجعل الطاعة موجهة إلى الإمام الذي نصّ على ولايته الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) وعندما تتوجه الولاية إلى شخص واحد تتجنب الأمة الخلافات والحروب الشعواء وسفك الدماء، فالمؤمنون كلهم يطيعون إماماً واحداً ولا يختلفون في طاعته، ولا يشركون معه طاعة شخص آخر، فتعدد الولاءات يسبب النزاعات والحروب وهذا ما وقعت به الأمة الاسلامية بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الدنيا، وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله) أمته أن تتمسك بما يعصمها من الضلال فقال: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي" [1].

---

[1]– المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ–2001م: 17: 170، السنن الكبرى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت303، ت: عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1421هـ–2001م: 7: 310. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت279هـ، ت: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1395هـ–1975م: 5: 662. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ: 3: 118.

وكذلك فقد ورد التحذير على لسان النبي (ص) من الاختلاف والتنازع من بعده فقال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"[1]، وقد قال الإمام الرضا (عليه السلام): "يقول الله عز وجل ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي"[2].

لقد حاول الإسلام بتشريعاته الدقيقة السيطرة على مسألة اجتماعية في غاية الأهمية ألا وهي (السِّلم)، فلا تستطيع الأمم أن تتقدم وتزدهر في كافة مجالات الحياة من دون السلم الاجتماعي.

ثانياً: إن الإسلام بنصوصه المقدسة (القرآن وحديث العترة) يصدح مدوياً أن الحقيقة واحدة ولا تتعدد، وأن السبيل إلى الله واحدة لا تعدد فيها، ومن الأدلة على هذا المعنى:

قوله تعالى: " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ"[3].

وأمّا ما جاء من الشواهد على هذا المعنى من حديث العترة صلوات الله عليهم فهو كثير جداً، ومنه قول الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها في جموع المهاجرين والأنصار: "فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ...، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة"[4].

فكانت الولاية التي عبّر عنها القرآن بالسلم هي السبيل التي تأخذ بأيدي الأمة الإسلامية إلى النجاة في الآخرة وإلى السلم والاعتصام بحبل الله جميعاً في الدنيا، ولهذا عبرت عنها سيدة النساء بأنها أمان من الفرقة.

ثالثاً: إن هذا النص للرواية الشريفة في تفسير معنى السلم يطابق الواقع الذي مرّت به الأمة الاسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ بدأت الحروب الداخلية تلتهم الآلاف من أبناء

---

[1]– صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: جماعة العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة، ط1، 1311هـ: 9: 50.

[2]– عيون اخبار الرضا (ع): 1: 146.

[3]– يوسف، الآية: 108.

[4]– بحار الأنوار: 29: 223.

الامة ابتداءً من حروب الردّة ومروراً بالجمل وصفين والنهروان، وإلى يومنا هذا والحروب الطائفية لا تزال تفتك بالأمة.

ننتقل إلى مفردة أخرى مما روي عن إمامنا الباقر (عليه السلام):

"عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "إنَّ الله يقول في كتابه: (وهو ألدّ الخِصام) قال: قلتُ: ما ألَد؟ قال: شديد الخصومة"[1].

نرى أن الإمام الباقر (عليه السلام) في هذهِ المفردة قد وافق المعنى المعجمي لهذهِ المفردة، وقد ذكرت كتب المعاجم معنى اللدود وفسرته بالعداوة الشديدة.

جاء في لسان العرب في مادة (لَدَدَ): "الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق"[2].

وفي معنى مفردة (القليل) الواردة في قوله عز وجل: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ "[3].

عن هارون بن خارجة عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عز وجل: "فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم" قال: كان القليل ستين ألفا[4].

في هذا الحديث يفسر الإمام (عليه السلام) القليل بهذا العدد الكبير (ستون ألفاً) مع أنه عدد ليس بالقليل اطلاقاً وذلك أن هذا العدد كبير لو نظرنا إليه من دون قياس بالنسبة إلى غيره، ولكن لو تم قياسه بالعدد الكامل لجيوش بني إسرائيل التي خرجت بقيادة طالوت لكان قليلاً كما قال الإمام (عليه السلام).

1- تفسير العياشي: 1: 101.

2- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري ت711هـ، ت: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط11: 2 : 56 مادة (لدد).

3- البقرة، الآية: 246.

4- معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، ت: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط11، 1361هـ: 151.

ففي هذهِ الرواية نظر الإمام إلى نسبية العدد ولم ينظر إلى الكم، والقرآن عبر عن هذا العدد بالقليل؛ لأنه نظر الى النسبة أيضاً، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى انعدام الافتراق بين الكتاب والعترة الذي أشار إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث الثقلين، كما يدل على استعمال الإمام الدلالة السياقية التي من لوازمها أن يكون المفسر عالماً بمقتضى الحال والقصة الكاملة للأحداث، وهذا غير متاح لكل مفسر إلا مفسراً عنده علم الكتاب.

وروي عنه (عليه السلام) في معنى (الفتنة) في قوله عز وجل: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[1].

أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرِسِيُّ: وَقٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ أَيْ شِرْكٌ. قَالَ: وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) [2].

في هذا النص القرآني يعبر القرآن عن الشرك بأنه فتنة كما فسره أبو جعفر (عليه السلام) فما هي اللازمة المعرفية بين الشرك والفتنة؟

في البداية لابد لنا أن نقف بإيجاز على معنى الفتنة ثم نرى الرابطة المعنوية بين المصطلحين.

جاء في تاج العروس: "وقال الأزهري وغيره: جِماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذٌ من الفتن، وهو إذابة الذهب والفضة بالنار لتمييز الرديء من الجيد"[3].

من هنا يتبين أن الجهاد الذي عبّر عنه القرآن (وقاتلوهم) كان أمراً من الله يدفع به عن الأمة (عواقب الرِدَّة)، فالجهاد يقوي شوكة المسلمين ضد أعدائهم المشركين، وحصيلة كل هذا هو عدم الارتداد عن الدين، فالغلبة للمنتصر في الحرب، ولو أن المشركين من قريش وغيرهم ظفروا بالمسلمين وتمكنوا منهم لردّوهم عن دينهم، ولا يمكن للإسلام أن يقوم بغير الجهاد ليمنع وقوع الارتداد عن الدين الذي عبّر عنه الباقر (عليه السلام) بالشرك.

---

[1]– الأنفال: 39.

[2]– مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، ت: السيد هاشم الرسولي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ: 2: 513.

[3]– تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفضل محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: عبد الكريم العزاوي، التراث العربي، طبعة وزارة الإعلام في الكويت، ط1، 1976م: مادة (فتن).

وأما في تفسير قوله عز وجل: "اللَّهُ الصَّمَدُ"[1]، فنجدُ عدة معانٍ يبينها لنا الإمام الباقر (صلوات الله عليه) تتجاوز المعاني اللغوية في أبعادها المعجمية ودلالتها السياقية، فلو أخذنا مفردة (الصمد) لندرسها في بُعدها المعجمي لما توصلنا إلى النتائج العظيمة والكنوز المعرفية التي ستمر علينا من خلال هذه الرواية الشريفة.

قَالَ الْبَاقِرُ(عليه السلام): «حَدَّثَنِي أَبِي زَيْنُ الْعَابِدِينَ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ(عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)، أَنَّهُ قَالَ: الصَّمَدُ: اَلَّذِي لاَ جَوْفَ لَهُ، وَالصَّمَدُ: اَلَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدَدُهُ، وَالصَّمَدُ: اَلَّذِي لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ، وَالصَّمَدُ: اَلَّذِي لاَ يَنَامُ، وَالصَّمَدُ: اَلدَّائِمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلاَ يَزَالُ»[2].

قبل أن نأتي لمقاربة المعاني الواردة في النص مقاربةً معرفيةً لابدّ لنا ان نقف على الدلالة المعجمية لكلمة (الصمد) حتى يتبين لنا أن المعنى المعجمي لا يأخذ بأيدينا إلى مقاصد النص القرآني لو دُرِسَ النص بمعزلٍ عن الرواية الشريفة.

جاء في لسان العرب: "صَمَدَ إليه قصده ... وبيتٌ مصمد أي مقصود وأنشد الجوهري:

علوته بحسامٍ ثم قلتُ له

خذها حُذيف فأنتَ السيد الصمد"[3]

فالصمد في اللغة هو المقصود، وقد وردت لفظة (المصمّد) وهي إحدى مشتقات (الصمد) في معلقة طرفة بن العبد، فيقول:

"وإن يلتقي الحي الجميع تلاقني

إلى ذروة البيت الشريف المصمدِ"[4]

---

[1]– الأخلاص: 2.

[2]– التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ت381هـ، ت: هاشم الطهراني، طبعة جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط1: 92.

[3]– لسان العرب: مادة (صَمَدَ).

[4]– شرح المعلقات العشر، القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1983م: 108.

نلاحظ أن دلالة هذه المفردة تأتي بمعنى القصد، لكنها جاءت وفق بيان الإمام الباقر (عليه السلام) تحمل عدة دلالات تتجاوز فيها الدلالة المعجمية وتتسع فيها الآفاق المعرفية.

فالمعنى الأول للصمد: هو الذي لا جوفَ له، ثم تتسامى المعاني تدريجياً فيكون المعنى: هو الذي لا يأكل ولا يشرب، ثم يتسامى ليصبح: هو الذي لا ينام.

لو لاحظنا الدقة والتراتبية في تدرج صفات الحق جل جلاله على لسان الإمام (عليه السلام) لوجدنا أنه نفى عنه صفة التجويف ليخرجه عن صفة الأجسام المادية التي تقتضي وجود جوف لها، ثم بعد ذلك النفي لصفة التجسيم اقتضى أنه سبحانه غني عن الطعام والشراب؛ لأنه تعالى أن يكون جسماً يفتقر إلى ما يمدّه من القوت ليجيء بهِ، وبعد ذلك تنتفي صفة النوم لاستغنائهِ عنها ايضاً، ثم يوصف بأنه الدائم الذي لا يجري عليه الزمان ولا تغيَّره الاحوال وأنه لكائن من دون بداية ليكونتهِ، وأنه الباقي من دون نهاية لبقائه.

ومما جاء من المفردات التي فسرها الإمام (عليه السلام) مفردة (البينة) في قوله تعالى: " لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ الْبَيِّنَةُ"[1].

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "البيّنة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)" [2].

لقد وصف القرآن الكريم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالبيّنة وكأن النبي (صلى الله عليه وآله) ظاهرة كونية واضحة أو كأنه من الأمور التي لا يمكن ان يُختلف عليها، فلماذا اختلف الناس عليه إلى يومنا هذا فمنهم من صدّقه ومنهم من كذّبه؟!

قبل الإجابة على هذا السؤال نريد أن نتأمل قليلاً في السياق اللغوي الذي وردت فيه هذهِ المفردة الملفتة للأنظار حيث ان السياق جاء يخاطب أهل الكتاب ويصف أحوالهم، وأهل الكتاب هم اتباع الملتين (اليهودية والنصرانية) حيث اعتبر القرآن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بينةً لهم، والبينة من البيان والوضوح فهي لا تخفى على أحد منهم بمقتضى بيانها وإلا فلن تكون بينةً، فهل كان

---

[1]– سورة البينة، الآية: 1.

[2]– تفسير القمي، ابو الحسن علي بن ابراهيم القمي، ت: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دائر الكتاب، قم، ط3، 1404هـ: 2: 432. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ت1107هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429هـ–2008م: 10: 211.

أهل الكتاب يعرفون شخصية هذا النبي؟ أو هل عندهم من القرائن والأدلة المعرفية ما يعرفهم بهذهِ الشخصية؟

لقد حدثنا القرآن الكريم عن صور متفرقة من الحقائق الثابتة في الكتب السماوية القديمة وأبرزها (التوراة والإنجيل) فأما ما جاء من وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله) في التوراة بلسان القرآن الكريم فقد حدثتنا سورة الأعراف عن صفات ذلك النبي الذي وصفه الله لموسى (عليه السلام) ووصف شريعته بتفصيل وبيان لا يقبل الشك أو التردد في أمره.

قال تعالى:"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"[1].

لقد كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى وخاصة العلماء منهم يعرفون صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويعرفون رسالته التي سوف يُبعث بها؛ لأن التوراة فصّل القول في هذا اللسان وكذلك الإنجيل، فقد قال الله عز وجل على لسان عيسى (عليه السلام): " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ"[2].

لو عدنا إلى المواقف التاريخية لعدد من المنصفين من علماء أهل الكتاب لوجدناهم يقرون بهذهِ الحقيقة التي حدثتهم عنها كتبهم، ومن هؤلاء المنصفين عبد الله بن سلام وكان من رؤساء اليهود في المدينة المنورة ووجهائهم، فهو يحدثنا عن أول موقفٍ رأى فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك عند قدومهِ (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة في الهجرة الشريفة، يقول: "أول ما قدم رسول

---

[1]– الأعراف: 157.

[2]– الصف: 6.

الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة انجفلَ الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجهه واستثبتّهُ علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب"[1].

إن في هذا النص مفردة في غاية الأهمية وهي قوله (استثبتّه) أي أنه تثبت من صدق النبي (صلى الله عليه وآله)، والسؤال هو: كيف لرجل يهودي أن يؤمن بنبي ولم يرَ منه أية معجزة تثبت نبوته وصدق رسالتهِ؛ لكنه آمن بهِ بمجرد أنه رآه؟!

في الحقيقة أن المسألة ليست بهذهِ البساطة إذ أن ابن سلّام كان عالماً كبيراً بعلوم التوراة والأسفار التي أوحاها الله تعالى إلى أنبياء بني إسرائيل وبالمحصلة فإنه كان عالماً بأحوال النبي الذي بشرت به التوراة، ولذلك فإنه تثبت من صدق النبي من خلال معرفته السابقة التي استمدها من الكتب السماوية المباركة.

[1]– شرح الإمام بأحاديث الأحكام، تقي الدين محمد بن علي القشيري ت702هـ، ت: محمد العبد الله، دار النوادر، دمشق، ط2، 1430هـ–2009م: 4: 448.

المبحث الثاني

التركيب

إن القرآن الكريم قد أوحاه الله تعالى إلى رسوله (صلى الله عليه وآله) لفظاً ومعنى، وكذلك السنة النبوية الشريفة فهي أيضاً وحيٌ من الله عز وجل فالقرآن كلام الله بكلماته وجملهِ وأسلوبه، ولكن الغريب أن رواة القرآن لا يكادون يتفقون على صيغة واحدة في نقل نصوص الآيات وهو ما يعرف عند علماء المسلمين بعلم القراءات القرآنية.

إن آيات القرآن نزلت من عند الله الواحد على نبيّ واحد والقرآن بلفظه ومعناه واحد، فمن أين جاء الاختلاف في نصوص الآيات الشريفة، وقبل ان نبحث في مواضع الاختلاف بين القرَّاء نريد ان نسلط الضوء على أسباب الاختلاف، وهل تعرّض النص القرآني لشيءٍ من التغيير وهل كان هذا التغيير متعمداً أم لا؟

إن الإمام أبا جعفر الباقر (صلوات الله عليه) أشار إلى حقيقتين في غاية الأهمية يمكن ان نعتبرهما المنطلق الأول لدراسة التركيب اللغوي لبنية النص القرآني وهما:

القاعدة الأولى: "مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ: عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ زُرَارَةَ ،عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: «إِنَّ الْقُرْآنَ وَاحِدٌ، نَزَلَ مِنْ عِنْدِ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّ الِاخْتِلاَفَ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ"[1].

إن الإمام (عليه السلام) يصرّح بأوضح العبارات أن النص القرآني نص لا يقبل الاختلاف وأن هذا الاختلاف بين القراء سببه الرواة ولا يمكن أن ننسب هذا الاختلاف الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالنص القرآني نصٌ قد أحكمت آياته وليس فيه أدنى اختلاف.

القاعدة الثانية: "محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع

[1]– الكافي: 2: 461.

القرآن كله كما انزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة من بعده (عليهما السلام)"[1].

وهنا حقيقة أخرى وهي أن القرآن الذي أنزل على محمد (صلى الله عليه وآله) محفوظ عند الأئمة (عليهم السلام) مما يدل على أن المصاحف التي كانت في متناول أيدي الصحابة قد وقعت الاختلافات فيها وتعددت القراءات و استمر هذا الاختلاف إلى ما بعد عصر الصحابة ، وسيأتينا الكلام بالتفصيل حول طبيعة هذه الاختلافات وأقوال القراء وتناقضاتهم وتكذيبهم لبعضهم البعض.

وقبل أن ندخل في هذه الجدلية الكبيرة المستمرة على طول التاريخ الاسلامي والتي تخص اختلاف الرواة وتعدد المصاحف لابد لنا أن نقف على بعض الاختلافات الكبيرة بين القراء والتي في حقيقتها لا يمكن ان نعدها قراءة مشروعة للنص القرآني بل هي تحريف واضح يراد منه هدم قدسية القرآن الكريم ودسّ الاختلاف في نصوصه والنتيجة من كل ذلك أن النص الذي أنزله الله تعالى ونطق به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لا وجود له اليوم إلا عند أهل البيت بحسب قول الإمام الباقر، وسنأتي على هذهِ المطالب لبيانها وإثبات مضامينها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

في البداية نريد أن نلقي نظرة على القراءات القرآنية من خلال إيراد بعض الشواهد التي وقع فيها الاختلاف وتغير المعنى تبعاً لذلك الاختلاف وأدى هذا الأمر إلى الحيرة في فهم النصوص القرآنية فلا نكاد أن نجد كتابين من كتب التفسير قد اتفقا في تحديد مراد الله عز وجل من تلك النصوص المختلف في قراءتها.

ومن النصوص القرآنية التي نجد فيها اختلافاً كبيراً في تراكيب النص بحيث تصل درجة الاختلاف الى حذف كلمة وإحلال كلمة اخرى محلها كما في قوله تعالى: " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ"[2].

---

[1]– الكافي: 1: 48.

[2]– الفاتحة: 7.

قرأها البعض (وغير الضالين) فحذفت (لا) وجيء بغير عوضاً عنها، وهذه القراءة نسبت الى كبار الصحابة والى اهل البيت ومنهم عمر بن الخطاب وأُبي بن كعب وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)[1].

ومنها أيضاً قوله تعالى: " فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ –إلى أجل مسمى– فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ"[2].

وهذه القراءة مروية عن ابن عباس وعبد الله بن مسعود وسعيد بن جُبير وهؤلاء من كبار الصحابة، وأما سعيد فهو من كبار التابعين، ويبقى السؤال الكبير ما هو النص الذي انزله الله تعالى على نبيه، هل هو المثبت في المصحف الآن أم هو ما روي عن هؤلاء الكبار؟ وكل هذه الاختلافات ما هي إلا براهين واضحة تشهد بالحقيقة التي أشار إليها الإمام الباقر (صلوات الله عليه) وهي أنه لم يجمع القرآن كما أنزله الله إلا أمير المؤمنين والائمة (عليهم السلام) وأن النص الذي يخلو من الاختلافات لا وجود له إلا عندهم (عليهم السلام) وأن سبب الاختلاف بين هذهِ النصوص يعود الى اختلاف الرواة الذين لم يستطيعوا أن يتناقلوا النص القرآني عبر العصور كما أنزله الله عز وجل.

وإلى مثال آخر في قوله تعالى: " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ"[3].

في صدر هذهِ الآية يقول الله: "وكتبنا عليهم فيها" ولكننا نجد قراءة غريبة جداً تأتينا بنص لا وجود له في القرآن وهي على هذا النحو (وأنزل الله على بني إسرائيل أن النفس بالنفس)[4].

إن الله تعالى يحدثنا عن بني اسرائيل انه كتب عليهم أحكام القصاص وفصّلها في كتابة التوراة والمعنى متقارب بين القراءتين ولكن الاختلاف في بنية النص اختلاف كبير وهذا الاختلاف قد

---

[1]– ينظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، 1988م: 1: 14.

[2]– النساء: 24.

[3]– المائدة: 45.

[4]– ينظر: معجم القراءات القرآنية: 2: 211.

وقع فيه كبار الصحابة كعبد الله بن أُبي وغيره، وهنا نسأل السؤال نفسه أي النصين قد نزل به جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

وإلى قوله تعالى: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[1].

قراها بعض القراء: "والسارقون والسارقات"[2] فأحلوا الجمع محل المفرد وقد يقول قائل أن المعاني متقاربة فلا بأس في هذا الاختلاف، وهذا قولٌ مردود؛ لأن القرآن قول الله عز وجل لفظاً ومعنى، فالنص القرآني قول الله الذي لا مبدل لكلماته، وأن القرآن نص واحدٌ لا اختلاف فيه كما قال الباقر (عليه السلام) فمن أين جاءوا بهذا الاختلاف.

وعند مراجعة كتب الحديث عند المسلمين نجد بعض الاختلافات التي لا يمكن أن نغض الطرف عنها حتى أن سورة الليل على قصر آياتها لم تسلم من الاختلاف بين القراء من الجيل الأول من المسلمين ومما جاء في هذا الشأن:

"عن علقمة قال: دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ، فقلنا: نعم، فقال: أيكم أقرأ، فأشاروا إليّ، فقال: اقرأ، فقرأت: والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى، قال: أنت سمعتها من فيّ صاحبك، قلت: نعم، قال: وأنا سمعتها من فيّ النبي (ص) وهؤلاء يأبون علينا"[3].

في هذه الرواية يحدثنا علقمة عن القراءة الصحيحة التي سمعها من لسان النبي (صلى الله عليه وآله) والتي سمعها أبو الدرداء أيضاً وهي على هذا النحو (والذكر والأنثى) ولكن أهل الشام لا

---

[1]– المائدة: 38.

[2]– معجم القراءات القرآنية: 2: 208.

[3]– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ت256هـ، طبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ط1، 1422هـ: 6: 170؛ وينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، احمد بن اسماعيل الشافعي ت893 هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429هـ : 8: 35، والتفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، د. مأمون حموش، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1428هـ: 8: 470، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1984م: 30: 380، وجمع القرآن، دراسة تحليلية لمروياته، أكرم عبد خليفة الدليمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ: 314.

يقبلون بهذه القراءة ويرفضونها فوقع النزاع بينهم، وقد عقد البخاري باباً كاملاً أورد فيه الروايات التي تبين حدّة النزاع والاختلافات حول نص هذهِ الآية الكريمة.

ولو عدنا إلى المصحف الشريف الموجود بين أيدينا الآن لوجدنا نصاً آخر بدلالة أخرى، قال تعالى: " وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى"[1].

نلاحظ أن الفارق بين النصين كبيرٌ جداً حيث تم إضافة تركيب دخيل على النص القرآني وفق رأي أبي الدرداء وهو من كبار الصحابة وقد وافقه علقمة في ذلك.

وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤالان، الاول: ما هو نص الآية الثالثة من سورة الليل المباركة الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله)؟

الثاني: ما الاختلاف الذي وقع في دلالة التركيب اللغوي للآية الكريمة بعد إثبات التركيب أو حذفه؟

أما بخصوص السؤال الأول فلا نستطيع أن نجيب عليه إلا بما أجاب به الإمام الباقر (عليه السلام)، من أن الاختلاف يأتي بسبب الرواة، والمحصلة من هذا هو عدم الاتفاق على النص الأصلي أو النص الأول الذي أوحى به الله تعالى إلى نبيه (صلى الله عليه وآله).

أما السؤال الثاني فإن الاختلاف قد وقع في دلالة النص فلو كان النص بهذا التركيب (وما خلق الذكر والانثى) فإن (ما المصدرية) والفعل الذي بعدها يكونان مصدراً مؤولاً وهو (خَلْقٌ)، وهذا يعني أن القسم بعد واو القسم وقع بخلق الذكر والانثى.

أما إذا قرأنا دلالة النص وهو على هذا النحو (والذكر والأنثى) فإن القسم قد وقع بذات الذكر وذات الأنثى، فهل أقسم الله تعالى بقدرته التي نتج عنها خلق الذكر والأنثى أم أنه أقسم بذوات مخلوقة كالذكر والأنثى؟

---

[1]– الليل: 3.

إن عدد المرويات في كتب القراءات والتفاسير وكتب الحديث التي تثبت اختلاف النصوص القرآنية كبيرٌ جداً ليس هذا مقام ذكر جميع الشواهد، وإنما نكتفي ببعضها لإثبات المعنى الذي أشار إليه الإمام الباقر (عليه السلام).

لقد مرّ ذكر الاختلافات بين النصوص القرآنية الواردة في كتب القراءات وكتب الحديث أما كتب التفسير فنكتفي بذكر شاهد واحد لتكتمل الصورة، ومن هذه الاختلافات التي ذكرت في كتب التفسير الاختلاف الواقع في نص الآية السابعة والستين من سورة المائدة قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"[1].

إن من المصاحف المشهورة جداً في عصر صدر الإسلام هو مصحف عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان ابن مسعود قد نزل الكوفة وأقام فيها أيام خلافة عمر بن الخطاب، وكان أهل الكوفة من الحفظة والرواة يقرأون القرآن وفق رواية ابن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو من كبار قرَّاء الصحابة ومصحفه مشهور جداً وعندما حكم بنو أمية حاربوا هذا المصحف ولم يبقَ منه إلا بعض القراءات التي رواها اصحاب التفاسير وكتب القراءات القرآنية.

إن نص الآية السابعة والستين من سورة المائدة في مصحف عبد الله بن مسعود يختلف عن نصها في مصحفنا الآن فقد: "أخرج ابن مردويه، عن ابن مسعود، قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله (ص): يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس"[2].

---

[1]– المائدة: 67.

[2]– الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت911هـ، دار الفكر، بيروت، ط1، 2011م: 3: 117.

إن هذهِ الآية المباركة نزلت في يوم غدير خم عندما أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) البيعة من المسلمين لله ورسوله ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد أجمع أهل التفسير والحديث من القدماء والمحدثين من أهل السنة والشيعة أنها نزلت يوم غدير خم[1].

وأما قراءة ابن مسعود لهذهِ الآية تقول أن جزءاً من الآية قد حُذف منها لأسباب دينية وسياسية معروفة لا حاجة لنا أن نفصل القول فيها، فلا يوجد أحد من أهل الارض شُنت عليه الحروب والتهبت عليه الأحقاد كعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

وهذه القراءة التي رواها لنا ابن مسعود يبيَّن فيها أنها كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكنها اختلفت بعد وفاته وهذا من أوضح مصاديق التحريف والتلاعب بالنصوص، وكل هذه الشواهد التي مرَّت علينا في هذا المبحث بالإضافة إلى هذا الشاهد تثبت الحقيقة التي أشار إليها الإمام الباقر (عليه السلام) أن الاختلاف يأتي من قبل الرواة وأن القرآن الذي أنزله الله عز وجل لم يجمعه كما أُنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده (عليهم السلام).

لقد كان سبب نزول هذهِ الآية من سورة المائدة أنها نزلت يوم غدير خم لأخذ البيعة من الأمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وعلى هذا أجمع أهل التفسير وأسباب النزل ونكتفي برواية واحدة في هذا الشأن.

" عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل اليك من ربك) يوم غدير خم في علي بن أبي طالب (عليه السلام)" [2].

إن مسألة اختلاف الرواة في رواية النص القرآني تعود إلى أسبابٍ، منها:-

الأول: عدم وجود الدقة في نقل النصوص وروايتها عبر العصور وهذا يمكن أن نسميه اختلاف من دون تعمد أو إصرار مسبق على تغيير بنية النص القرآني بقصد التحريف ولي أعناق المعاني

---

[1]- ينظر: تاريخ مدينة دمشق: 12: 119، وصحيح ابن حبان: 2: 104، وسلسلة الاحاديث الضعيفة: رقم الحديث 4922، وتفسير الثعلبي: 4: 92.

[2]- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت 468هـ، دار الإصلاح ، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط1، 2007م: 135.

لتصب في خدمة المصالح المنهجية والسياسية، وقد صرَّح السيد أبو القاسم الخوئي بعدم تواتر القراءات القرآنية[1].

الثاني: هو قصد التحريف، أي أن هذا الاختلاف وراءه دوافع دفعت إلى تغيير بنية النص تغييراً يراد به التحريف.

وهنا قد يتبادر سؤالٌ وجيه حول التحريف وهو أن الله تعالى قد عصم القرآن من التحريف بقوله: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[2] فكيف تمكن هؤلاء الرواة من تحريف القرآن، أو كيف غيروا فيه حتى لو كان هذا التغيير من دون قصد مسبق مع إثبات العصمة الإلهية للقرآن الكريم من التحريف؟

الجواب على هذا السؤال يكون من خلال محورين رئيسين يجب تفصيل القول فيهما:

المحور الأول: كيف نفهم هذهِ الآية وهل هذهِ الآية تم فهمها بحسب ضوابط فهم النص القرآني عند أهل البيت (عليهم السلام)؟ أم أننا فسرناها من عند أنفسنا واستخرجنا النتائج التي اصطدمت مع تراث أهل البيت (عليهم السلام) حتى دخلنا في جدلية التحريف مما اضطر بعض علماء الحديث الى تكذب المئات والمئات من الاحاديث التي حدثتنا عن مواضع التحريف في القرآن الكريم.

إن روايات تحريف القرآن قد جاءت في جميع كتب الحديث عند السنة والشيعة وقد مرّت علينا الروايات من صحيح البخاري وغيره، أما في كتبنا التي روت أحاديث العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم) فهي أيضا تحتوي على كمّ ليس بالقليل من روايات تحريف القرآن وأشارت إلى مواضع التحريف وإلى من قام بعملية التحريف.

إن هذهِ الآية الكريمة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[3] لم تُفهم بالفهم الصحيح الذي قدّمه لنا الإمام محمد الباقر (صلوات الله عليه)، وقبل أن نأتي على ذكر تفسير الإمام لها لابدّ لنا

---

[1]– ينظر: البيان في تفسير القرآن، السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي، مطبعة الأعلمي، بيروت، ط1، 1974: 164.

[2]– الحجر: 9.

[3]– الحجر: 9.

ان نقف على سياق الكلام في هذهِ الآية ونفهمها وفق قواعد اللغة العربية، فالله تعالى يقول لنا في هذهِ الآية أنه هو من أنزل القرآن وأنه هو الضامن لحفظه، فالتنزيل والحفظ كلاهما من شأن الله عز وجل وليس من شأننا نحن، فلسنا نحن من أنزل القرآن ولسنا نحن من نحفظه من التحريف.

وسياق الكلام في هذه الآية لا يقبل غير هذا المعنى، ولكن الخطأ قد وقع في فهم نص الآية حيث توهم الكثير من المسلمين أن حفظ القرآن يعني أن المصحف الذي بين أيدينا الآن لا يختلف عن المصاحف في عصر صدر الإسلام وهذا خطأ كبير في فهم الآية، وعندما نأتي إلى تفسير هذه الآية عند أهل البيت (عليهم السلام) نجده شيئاً آخر توضحه لنا هذهِ الرواية الشريفة عن إمامنا الباقر (عليه السلام):

" محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة من بعده (عليهما السلام)"[1].

فقوله (عليه السلام): "وما جمعه وما حفظه كما نزله الله تعالى إلا علي والائمة عليهم السلام" يدل على ان القرآن محفوظ عند عِدْلِ القرآن الذي لا يفترق عنه حتى يردا الحوض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما مرّ علينا في حديث الثقلين الشريف.

إن الثقلين (القرآن والعترة) لن يفترقا حتى يردا الحوض، فالقرآن محفوظ بتمامه وكماله كما أنزله الله سبحانه عند الثقل الثاني وهو (العترة الطاهرة).

والنتيجة من كل ما تقدَّم هي أن القرآن قد تكفَّل الله بحفظهِ عند أهل البيت (عليهم السلام) وهذه النتيجة قائمة على ركيزتين:-

الأولى: الفهم الصحيح لمعنى الآية وفق سياقها اللغوي بما يتوافق مع صريح نص القرآن بحسب قواعد لغة العرب.

---

[1]- البرهان في تفسير القرآن: 1: 29.

الثانية: أن تفسير أهل البيت (عليهم السلام) لهذهِ الآية يقول بهذهِ النتيجة ويحكم بالكذب والافتراء على كل من يدعي أنه جمع القرآن كما أنزله الله تعالى من غير أهل البيت (عليهم السلام).

وهناك نصٌ قرآني آخر يؤتى به في إثبات أن التحريف لم ينل من النص القرآني وان القرآن محفوظ بين دفتي المصحف وهو قوله تعالى: " لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"[1]، فتم الاستدلال بهذا النص على أن القرآن الكريم غير محرَّف حيث فُسِرَ الباطل بأنه التحريف وهذا خطأ كبير في فهم النص القرآني وهو شبيهٌ بالخطأ الأول في فهم آية الحفظ التي مرّ الكلام عنها في سياق البحث، ولو عدنا إلى تفسير هذهِ الآية المباركة عند أهل البيت (عليهم السلام) لوجدناها لا تخص التحريف ولا تتكلم عنه لا من قريب ولا من بعيد، ونأتي بروايتين على سبيل المثال:-

الأولى: "عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) في قوله تعالى: (لا يأتيه الباطل، أنه ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل، بل أخباره كلها موافقة لمخبراتها"[2].

هذه الرواية بيَّنت وجهاً من وجوه الآية الكريمة وهو أن القرآن الكريم لم يخبر عن شيء من أخبار الأمم السالفة إلا وفي خبره هذه مطابقة للحقيقة فإنه يخبر عما جرى في الماضي إخباراً حقاً كما حدث بالفعل، ولم يخبر عن شيء يحدث في المستقبل إلا ويحدث كما أخبر به القرآن، وهذا من الأمور المسلمة عند جميع المسلمين فالقرآن فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهو كلام الله تعالى الذي عنده علم الغيب ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهذهِ الرواية لم تفسر الآية كما يفسرها البعض بأنَّها تخص التحريف أوما شابه وإنَّما تتحدث عن صدق القرآن في إخباراته الغيبية عمّا مضى وعمّا سيأتي.

---

[1]- فصلت: 42.

[2]- البرهان في تفسير القرآن: 4: 792.

الثانية: "عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عز وجل: "لا يأتيه الباطل من بين يديه" قال: لا يأتيه الباطل من قِبَلِ التوراة، ولا من قبل الإنجيل والزبور، وأما من خلفه لا يأتيه من بعده كتابٌ يُبْطله"[1].

إن من الثوابت في دين الإسلام أن الشريعة الاسلامية هي خاتمة الشرائع وأن محمداً (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء وأن حلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرامٌ إلى يوم القيامة، والقرآن الكريم هو نظام الدنيا والدين وأن الكتب التي سبقت القرآن كالتوراة والانجيل والزبور لا يجوز العمل بأحكامها؛ لأنها نُسِخَت بالقرآن، فهو المهيمن على جميع الكتب السابقة، وبما أنه آخر الكتب فلا ينسخه كتاب يأتي من بعده ولا يبطل أحكامه والعمل بها، فالعمل به جارٍ إلى يوم القيامة.

إن الوجه الثاني من وجوه الآية الكريمة جاء بمعنى الناسخ كما بيَّن لنا إمامنا أبو جعفر (عليه السلام) وهذا الوجه أيضاً لا علاقة له بالتحريف من قريب ولا من بعيد، وإن المشكلة الحاصلة نتيجة فهم الآيتين بصورة غير صحيحة وبعيدة عن المعاني التي بيَّنها لنا الائمة (عليهم السلام) أدت إلى الحكم بنفي وقوع التحريف في النص القرآني من دون دليل ولا بيِّنة على هذا القول.

وهنا بيانٌ لابدَ من إيضاحهِ في هذا المبحث حول موقف الباحث من مسألة تحريف القرآن ويتلخص في الآتي:

إن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) وتكفل بحفظه كما أنزله من دون زيادة أو نقصان، فعقيدتنا في القرآن أنَّه الكتاب الذي عصمه الله عز وجل من التحريف وحفظه عند عدله وترجمانهِ والقائمين عليه وهم الائمة (صلوات الله عليهم) من ولد علي وفاطمة (عليهما الصلاة والسلام)، فلا يمكن لأي شخص أن يغيَّر حرفاً واحداً من القرآن أو ان يعبث بهِ أو أن يطمس معانيه التي استودعها الله في وعائهِ الأكمل وعيبة علمه الواسعة وهم الائمة (عليهم السلام).

فالقرآن كتاب الله الذي عصمه من التحريف وجعل الائمة (عليهم السلام) قائمين عليه إلى يوم القيامة كما قال مولانا الباقر (عليه السلام)، أما ما وقع من اختلاف نصوصه فهو المصحف الذي جمعه عثمان بن عفان وهو المصحف الموجود بين أيدينا الآن فقد وقع الاختلاف فيه بسبب

---

[1]– البرهان في تفسير القرآن: 4: 793.

اختلاف الرواة كما أشار إلى هذا المعنى إمامنا الباقر (عليه السلام) في الروايات التي مرَّت علينا في سياق بحثنا.

وننتقل إلى جزئية في دراسة التراكيب القرآنية ضمن إطاراتها المعرفية وهي جزئية في غاية الأهمية تخص ماهية القرآن وهذهِ الجزئية قد وقع فيها الاختلاف الكبير بين المدارس الفلسفية الإسلامية، وارتكبت بسببها المجازر في عهد العباسيين وهي مسألة (خلق القرآن).

إن كل شيء في هذا الكون مخلوقٌ إلا الله عز وجل فهو الخالق الذي خلق بقدرته كل شيء، وبما أن القرآن غير الله فقد ذهب طائفة من المسلمين الى القول بأنه مخلوق كي لا يعتبرونه خالقاً فيقع عندهم الشرك في عقيدتهم بوحدانية الله عز وجل.

إن القول الفصل في هذهِ المسألة هو قول إمامنا الباقر (صلوات الله عليه) ولكن قبل أن نذكر ما قاله في هذهِ المسألة لابدّ لنا من وقفة موجزة نوضح فيها مسألة خلق القرآن ومن الذين قالوا بها، ونعني بالذين قالوا بها أي اعتقدوا بها، فالقول في الخطاب القرآني يأتي بمعنى الاعتقاد، فقد قال تعالى: "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" أي اعتقدوا به في قلوبهم، وإلا من قال بالربوبية ولم يعتقد بها فهو منافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

ولذلك نجد الأعلام من علمائنا من أهل الكلام والفلسفة يكثر عندهم هذا التعبير (قال به) أي اعتقد بهِ، فنريد أن نعرف هذهِ المسألة – خلق القرآن– ومن قالوا بها وما السبب الذي دعاهم إلى القول بها وبعد ذلك نذكر ما قاله مولانا أبو جعفر (صلوات الله وسلامه عليه) فقوله هو الفصل الذي لا يُردُّ، وفيه الحجة البالغة من الله عز وجل.

لقد قال المعتزلة بعقيدة خلق القرآن واستدلوا بجملة من الأدلة العقلية والنقلية وهذهِ بعض أقوال أعلامهم:

قال أحمد بن عبد الجبار المعروف بالقاضي المعتزلي في كتابه المغني: "القرآن وسائر كلام الله تعالى مخلوق، وقد بيّنا فيما تقدم أن كلامه تعالى مُحدث، وإذا ثبت ذلك وجب أن يجري مجرى

سائر أفعالهِ، وإذا كانت توصف بأنها مخلوقة، فكذلك القول في القرآن، والقرآن بهذهِ الصفة، فيجب أن يوصف بأنه مخلوق"[1].

إن القاضي المعتزلي يريد أن يثبت في كلامه هذا أن القرآن بوصفه كلام الله فإنه يوجب صفة الفعل والأفعال الالهية منفصلة عن الذات فهي مخلوقة وبما أن الكلامَ فعلٌ فالكلام مخلوق سواء أكان الكلام قرآناً أو غيره.

وأما الزمخشري فقد قال في تفسيره: "(وكلّمه ربّه) من غير واسطة كما يكلم الملك، وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح"[2].

في هذا القول يحاول الزمخشري أن يفسر طريقة الكلام الذي كلّم الله تعالى به موسى النبي (عليه السلام) فقال أن الكلام الذي سمعه موسى هو كلام مخلوق أي أن الله خلق كلاماً ثم وجهه إلى موسى (عليه السلام)، كما أنه خلق الكلام المخطوط في الألواح التي أنزلها على موسى في جبل الطور والتي عُرفت بألواح الشريعة التي أمر الله تعالى نبيه موسى أن يأخذها بقوة وأن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها، قال سبحانهُ: " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ"[3].

ولقد أدلى الفخر الرازي بدلوه في هذهِ المسألة وفصّل القول فيها وذكر الاختلاف حولها بين المعتزلة وأهل السنة، يقول: "وأما القرآن الكريم وهو من كلام الله تعالى، فإن المعتزلة يقولون هو مُحدث ومخلوق؛ وذلك لأنه نزل بعد التوراة والإنجيل، والمنزل مخلوق ومحدث"[4].

---

[1]– المغني في أبواب التوحيد والعدل: 7: 208، وينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ابو عبد الله محمد بن احمد المقدسي، دار صادر، بيروت، ط3، 1411هـ: 395، واللباب في علوم الكتاب، ابو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي ت775 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ: 2: 382، وابن حزم وموقفه من الألهيات عرضٌ ونقد، د. احمد بن ناصر محمد، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي، الرياض، ط1، 1406هـ: 264.

[2]– الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط11، 1418هـ–1998م: 2: 151.

[3]– الأعراف: 145.

[4]– خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة، فخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، ت: أحمد حجازي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ–1992م: 16.

لقد استدل المعتزلة بجملة من النصوص في إثبات خلق القرآن، ومنها:

قوله تعالى: " اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ"[1].

وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً"[2].

إن القرآن الكريم شيءٌ وهذا مما لا يمكن إنكاره ولكن القرآن بحسب فهم المعتزلة لهذهِ الآية مخلوق؛ لأنه شيء وبما أن الله خالق كل شيء فالقرآن مخلوق.

أما استدلالهم بالآية الثانية فقد اعتبروا أن الجعل من الخلق وجعل القرآن يعني خلق القرآن.

كان هذا الإيضاح الموجز بمثابة نبذة تعريفية بمسألة خلق القرآن والذين اعتقدوا بها وما استدلوا به من الأدلة النقلية والعقلية، ونختم هذا البحث بالقول الفصل الذي قاله مولانا أبو جعفر الباقر (صلوات الله عليه) في هذهِ المسألة، ولابد من الإشارة إلى أن هذهِ الفتنة التي أدت الى قتل الآلاف من المسلمين قد حدثت في عهد المأمون و استمرت إلى عهد المتوكل أي أنها حدثت في زمان بني العباس، ولكن الإمام الباقر (عليه السلام) قد أشار إليها وعلمنا القول الحق فيها قبل مائة سنة من وقوعها فالباقر (عليه السلام) توفي سنة (114هـ) والمأمون بعد المائتين من الهجرة الشريفة، وقد بين لنا الإمام (عليه السلام) موقفه من هذهِ المسألة في هذا الحديث الشريف الذي حدّث به زرارة بن أعين.

" عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لِي: «لاَ خَالِقٌ وَلاَ مَخْلُوقٌ، وَلَكِنَّهُ كَلاَمُ الْخَالِقِ»"[3].

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنه لم يوصف بانه مخلوق وإنما بالمحدث قال تعالى: "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ"[4].

---

[1]– الزمر: 62.

[2]– الزخرف: 3.

[3]– البرهان في تفسير القرآن: 1: 16.

[4]– الأنبياء: 2.

فالصفة الدقيقة للقرآن أنه (مُحدث) وهو بالتأكيد غير قديم كالذات الإلهية ولذلك وُصف بأنه مُحدث ولكنه ليس كسائر المخلوقات من الأعيان التي نراها من حولنا، فالمخلوقات على درجات متباينة في سُلَّم الوجود، ولهذا فإن الإمام الباقر (عليه السلام) لم يصف القرآن بما وصفه به المعتزلة ولم يصفه بأنه قديم كما وصفه أهل السنة.

وأهم نتيجتين توصلنا إليهما في هذا المبحث هما:

الأولى: أن القرآن الكريم كتابٌ له نصٌ واحد نزل من عند الله الواحد على نبيّ واحد ولا يوجد في نصوصهِ اختلاف أبداً، وإنما وُجِدَ الاختلاف في المصحف الذي جُمِعَ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل الصحابة فأدى ذلك إلى اختلافهم واختلاف الرواة الذين جاءوا من بعدهم ونقلوا عنهم، فالاختلاف قد وقع في المصحف، والمصحف هو محاولة بشرية لجمع النصوص القرآنية وليس كالقرآن الذي لا اختلاف فيه ولا تحريف ولا تصحيف في نصوصه وقد أشار الإمام الباقر (صلوات الله عليه) إلى أنه لا وجود لهذا المصحف الكامل إلا عند الائمة من آل محمد (صلوات الله عليهم) الذين تكفَّل الله بحفظ كتابه عندهم وجعلهم الأدلاء عليه إلى يوم القيامة.

الثانية: وقفنا على القول الصحيح في مسألة من المسائل الشائكة التي تتصل بصفات ذات الله تعالى وهل هي من الصفات المخلوقة أم من الصفات القديمة وهي مسألة خلق القرآن وذلك من خلال ما بيَّنهُ إمامنا ابو جعفر (عليه السلام) في هذهِ المسألة وأبطل كلام الفرق الضالة واجتهاداتها المخالفة لصريح القرآن الكريم.

المبحث الثالث

السياق

إنَّ من مستويات دراسة النص في العربية وغيرها دراسة السياق الذي يتألف من مجموعة من الجمل لتؤدي معنى معيناً، فالسياق يتألف من الجمل كما أن الجمل تتألف من المفردات، وفي هذا المبحث لا نريد أن ندرس السياق في كتاب الله عز وجل كما يفهمه أرباب التفاسير والاجتهادات المختلفة في فهم القرآن الكريم وإنما نفهمه بحسب ما ورد إلينا من نور مولانا أبي جعفر (صلوات الله عليه) فحديثه نور كحديث رسول الله والأئمة (صلوات الله عليهم)، وقد قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): "إن حديثا يجلو الرين عن القلوب مثلما يجلو الصيقل الرين عن السيوف والمُدى"[1].

فمن خلال الفهم السليم لسياق القرآن الكريم الذي قدّمه لنا إمامنا الباقر (صلوات الله عليه) نريد أن نسلّط الضوء على بعض الشواهد التي تختص بالسياق القرآني ومحاولة سبر أغواره المعرفية من خلال الأدوات المعرفية التي تضمنتها مرويات الباقر (عليه السلام).

وقبل أن ندخل في مادة البحث لابدّ من بيان أهمية السياق وخاصة في العربية فهي لغة البيان والجمال وعمق المقاصد، ولقد أهتم الكثير من الدارسين بهذا الشأن و أولوا أهمية كبيرة لفهم المقاصد من خلال فهم المفردات في سياقها من دون اجتزاء؛ وذلك أن المفردة في ذاتها لا تدل على المعنى ذاته في حال لو اندرجت ضمن سياق كلاميٍّ معين، ومن هنا تأتي أهمية السياق في اللغات الإنسانية عامةً وفي العربية خاصة، فالعربية أعلى رتبة وأشرف محلاً من سائر اللغات ولذلك أنزل الله تعالى أشرف الكتب بلسان العرب، وهي أغنى لغة في مفرداتها وأجمل اللغات في أساليبها وروعة بيانها.

لقد وصف علماء العربية سياق القرآن بأروع الصفات وقالوا أنه سياق مُعجز لا يصل إليه سياق حتى ولو كان كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا لا يخفى على أحد أن هناك فارقاً كبيراً بين القرآن وحديث الرسول (صلى الله عليه وآله) [2].

---

[1]– الكافي: 2: 113.

[2]– ينظر: إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت: 15.

قال الباقلاني في وصف القرآن وإعجازه: "فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ووصفه، فإن العقول تتيه في جهتهِ، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه.

ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدلُ به على الغرض، وتستولي بهِ على الأمد، وتصل به الى المقصد، وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس، وتتيقن بلاغته كما تتيقن الفجر"[1].

في هذا النص أراد الباقلاني وصف إعجاز القرآن بأنَّه واضح لمن يتدبره كما أن الشمس واضحة لا يستطيع إنكارها أحد، وهذه حقيقة لا يمكن دفعها ولو استطاع أهل الإلحاد والضلال دفعها لفعلوا، فكم من محاولة قد باءت بالفشل أرادوا من خلالها أن يأتوا ولو بسورة من مثله، ولقد قال تعالى في هذا: " قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً"[2].

وهذا التحدي قائم من اليوم الذي أُنزل فيه القرآن وإلى يومنا هذا وسيستمر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ولقد بشرهم القرآن بالعجز عن ذلك فقال: " وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"[3].

ولقد حظيَ السياق اللغوي بأهمية كبيرة في دراسات الباحثين المحدثين وأشاروا إلى أهميته، وكيف أن المفردات يمكن أن تُفهم في سياقها بغير الفهم الذي يكون ناتجاً عنها في حال اجتزائها من سياق الكلام الذي وردت فيه.

فهناك الكثير من المفردات اكتسبت مضامين سياقها من خلال وثاقة الارتباط الدلالي بينها وبين السياق واصطبغت بصبغتهِ، وفي هذا المعنى يقول الدكتور فايز الداية: "نجد أن كثرة استعمال

---

[1]– إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط1: 185.

[2]– الإسراء: 88.

[3]– البقرة: 23-24.

كلمات بأعيانها في مجال اجتماعي أو علمي أو فني تورث انطباعاً يربط بين هذهِ الأجواء والرمز اللغوي"[1].

إن اهتمام اللغويين من القدماء والمحدثين العرب كان كبيراً في مسألة فهم المفردات بحسب السياق الذي وردت فيه، وخاصة فهم سياق القرآن الكريم، ولقد وردت في القرآن بعض المفردات التي يستحيل أن نفهمها من دون النظر العميق إلى السياق الذي وردت فيه وعلى سبيل المثال.

قال تعالى: " ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ"[2].

فهذا الشخص الذي يلقيه الله تعالى في نار جهنم ويذيقه ألوان العذاب الأبدي يخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب بصفة العزيز الكريم، ويراد بها العكس تماماً، وكما ورد في تفسير البرهان أنها يُراد بها التعيير والتوبيخ والاستهانة بهِ؛ لأنه كان يدعي أنه كان عزيزاً وكريماً في قومه في الحياة الدنيا[3].

فلو اجتزأنا هذا النص من سياقهِ وهو سياق العذاب الإلهي لهؤلاء الكافرين لما استطعنا أن نفهم المراد منه، ومن هنا تأتي أهمية السياق في فهم النص أياً كان هذا النص وبأي لغة كان فكيف بكتاب الله العزيز وهو أفصح الكتب وأشرفها رتبة وأعلاها مقاماً إذ لا يقاس به كتاب أبداً.

والشواهد القرآنية الدالة على أهمية السياق ودوره الكبير في فهم مقاصد النص القرآني كثيرة، ومنها قوله تعالى: " قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ"[4].

وأرادوا بالحليم الرشيد أنه سفيهٌ جاهل والعياذ بالله[5].

---

[1]– علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، الدكتور فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1996: 24.

[2]– الدخان: 9.

[3]– ينظر: البرهان في تفسير القرآن: 5: 20.

[4]– هود: 87.

[5]– ينظر: البرهان في تفسير القرآن: 3: 130.

و: دلالة السياق، د. ردة الله بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ: 140.

وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 247:6.

إن سياق الخطاب القرآني في هذهِ الآيات من سورة الأعراف المباركة يتحدث عن دعوة نبي الله شعيب (عليه السلام) لقومه وحواره الذي دار بينه وبينهم، وكانوا يتوعدونه بالرجم والقتل، ومقام هذا الكلام يقتضي الغلظة والشدة في القول فكيف يمدحونه ويصفونه بالحلم والرشد وهم يسفهون دينه ويتوعدونه بالقتل هو ومن معه من المؤمنين، وهذا يخالف المنطق السليم في فهم النص، فكان هذا التعبير فيه شيءٌ من الكناية عن قولهم الذي توجهوا به إلى شعيب النبي (عليه السلام) فهم أرادوا العكس تماماً حيث اتهموه بالسفاهة والجهل كما جاء في التفسير.

وحال هذا النص كحال النص الذي تقدمه إذ لا يمكن فهم مقاصده من دون النظر إلى سياقهِ الذي ورد فيه، فلو اجتزأنا قوله سبحانه: "إنَّك لأنت الحليم الرشيد" وحاولنا أن نفهم مقاصدها من دون النظر إلى سياقها نستنتج أن قوم شعيب كانوا على الهدى والاستقامة فهم آمنوا بنبيهم وبدعوته حتى أنهم وصفوه بالحلم والرشد وهذا من غير المعقول ومما يستحيل أن نصفه بأنَّه فهم سليم يوافق مقاصد الله عز وجل في كتابه الكريم، ولكن الذي قادنا إلى فهم النص فهماً سليماً هو سياق الخطاب الذي وردت فيه هذه الصفات على ألسنة قوم شعيب (عليه السلام) فهم كانوا في حالة مواجهة عنيفة لفكره ونهجه الذي يدعوهم إلى الهدى والرشاد ولذلك كانت دلالة النص هي على العكس تماماً من ظاهر الألفاظ، وكانت هذه الصفات محكومة بحاكمية السياق الواردة فيه، وجميعها تشهد على أهمية السياق في فهم مقاصد النص الكريم.

وهذا الأمر نجده أيضاً عند علماء اللغة الغربيين حيث إن الكلمة لا تُفهم دلالتها بوضوح إلا في سياقها إذ أن فيرث وهو زعيم النظرية السياقية أشار إلى هذا الأمر: "أنَّه يؤمن بأن معنى الكلمة لا ينكشف إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة"[1].

وتأتي أهمية السياق في فهم مقاصد النص القرآني من خلال ما يتضمنه السياق من القرائن اللفظية والمعنوية وهي معروفة عند علماء علم الأصول الذي يستنتج منه الحكم الشرعي أو ما

---

[1]– علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م: 68.
وينظر: فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ–2005م: 157، وفصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1423هـ: 79، وجامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الدامي، جامعة الشارقة، الامارات، ط1، 1428هـ: 1: 120، والمهذب في اصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ: 3: 136.

يُعرف عندهم بالاستنباط وهو علم يستعمله الفقهاء لبيان الأحكام الشرعية ولذلك يقول ابن القيم: "إن اللفظ لابد أن يقترن به ما يدل على المراد به"[1].

وهذه القرائن التي يمكن أن يتضمنها النص تكون بمثابة عوامل مساعدة وقرائن تشير إلى المراد من النص وعلى وجه الدقة ماذا يراد من الكلمات التي وردت في ذلك النص، فالسياق يوجه دلالة الكلمة بالاتجاه الذي ينصب فيه السياق فلا تكون الكلمة مستقلة عن المقاصد المستنتجة من السياق كله.

ولهذا يقول الدكتور نجد الدين الزنكي: "تتجلى من خلال القرائن اللفظية في السياق مقاصد النص"[2].

في هذا البحث الذي يسلَّط الضوء على السياق القرآني عند الإمام الباقر (عليه السلام) نحاول إيجاد القرائن التي يتضمنها النص القرآني والتي تتلائم مع مرويات الباقر (عليه السلام) وما جاء فيها من تفسير لآيات الكتاب الكريم.

في قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً"[3].

" عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً؟ قَالَ: «نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوُسْطَى، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَحُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ»"[4].

---

[1]– مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن القيم ت (751ه)، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2001م–1422ه: 324، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ابو العباس شهاب الدين احمد بن يوسف السمين الحلبي، ت765ه، دار القلم، دمشق، ط1، د.ت: 2: 151، وتفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع اخبار اليوم، القاهرة، ط1، د.ت: 1: 626.

[2]– نظرية السياق، د. نجد الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427ه–2006م: 131.

[3]– البقرة: 143.

[4]– بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (عليهم السلام)، محمد بن الحسن الصفار، ت: ميرزا محسن، مؤسسة الأعلمي، طهران، ط1: 83.

إن الإمام الباقر (عليه السلام) فسّر قوله تعالى: (أمةٌ وسطاً) بأنَّهم الأئمة من عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينما نجد باقي التفاسير فسَّرت هذا النص بأنَّه الأمة الإسلامية أي أن عامة المسلمين من أمة محمد (صلى الله عليه وآله) سيكونون يوم القيامة شاهدين على بقية الأمم[1].

ولابد لنا من سؤال حول هذا التفسير، كيف تشهد هذهِ الأمة على بقية الأمم ممن سبقها كأمة موسى وعيسى ونوح وغيرها من الأمم الكثيرة وهي لا تحيط علماً بأفعالها؟ أوليس الشاهد يجب أن يكون عالماً بالشيء ليشهد عليه، فشهادة الجاهل لا تعتبر حجة على المشهود عليه هذا أولاً، وثانياً أن أمة محمد (صلى الله عليه وآله) تنقسم إلى مذاهب وطوائف شتى قد كفّر بعضها بعضاً وقتل بعضها بعضاً فهي أولى بالحساب من غيرها فكيف تشهد على غيرها من الأمم وهي أسوأ منهم أو مثلهم على الأقل في أعمالها حتى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) شبّه أمته باليهود والنصارى في ضلالهم وانحرافهم من بعده فقال في الحديث الذي رواه جميع المسلمين باختلاف طوائفهم ومذاهبهم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"[2].

أي أن هذه الأمة ستنحرف وتضل بعد نبيها ويجري عليها ما جرى على من سبقها من الأمم الغابرة كاليهود والنصارى.

فالأمة التي يكون حالها كحال بقية الأمم كيف لها أن تشهد على غيرها؟ وهذا التفسير لا يمكن أن يُعتد به للسببين المذكورين.

أما تفسير إمامنا الباقر (صلوات الله عليه) فهو يتسق اتساقاً كاملاً مع مضامين القرآن الكريم وأحاديث النبي والعترة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين) وتشهد على صحتهِ الأدلة النقلية والعقلية، فأما الأدلة النقلية فهي كثيرة جداً تشهد أن الأئمة (عليهم السلام) قد اختصهم الله تعالى بعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة والأحاديث في هذا الشأن كثيرة جداً[3].

---

[1]- ينظر: تفسير القرآن العظيم: 217 والكشاف: 101.

[2]- صحيح البخاري: 9: 102.

[3]- ينظر: الكافي: 1: 146-147.

وأما الدليل العقلي فيتلخص بكون الأئمة (عليهم السلام) معصومون لم يجرِ عليهم ما جرى على الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الاختلاف والضلال والانحراف، فهم على نهج جدهم المصطفى وهم ورثة علمه وهم أفضل الخلق من بعدهِ ولذلك جعلهم الله تعالى شهداء على خلقهِ جميعاً وعلى الأمم الماضية التي ذُكِرَت في الآية الكريمة من سورة البقرة.

وفي قوله تعالى: " فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً"[1].

قبل أن نذكر الرواية الشريفة التي فسرت لنا هذه الآية لابدّ أن نتدبر في سياق الآية، فما هي اللازمة المعرفية بين قوله (فاستبقوا الخيرات) وبين قوله (أين ما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً) فإذا كان المقصود بالجمع هذا هو الجمع في عرصات القيامة فإن يوم القيامة لا يحتاج إلى هذا السياق بدليل أن جميع الخلائق سوف تُحشر في ذلك اليوم من المؤمنين والكافرين قال تعالى: " وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً"[2].

أما السياق في هذه الآية خاصٌ بمن استبقوا الخيرات وجاءهم الوعد الإلهي بأنَّ الله سوف يجمعهم رغم تعدد أماكنهم وتفرَّق ذواتهم.

ولذلك فإن هذه الآية بعيدة كل البُعد عن أحداث يوم القيامة الذي سيجمع الله فيه جميع الخلائق من دون تمييز وتفريق، فما من مؤمن وما من كافر إلا سوف يبعثه الله تعالى من قبره، وليس البعث خاصاً بالذين آمنوا أو غيرهم من الخلق.

إن اللازمة المعرفية في هذهِ الآية المباركة كشف عنها مولانا الباقر (عليه السلام) في هذهِ الرواية الشريفة.

" الْكَابُلِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)–فِي حَدِيثٍ يَذْكُرُ فِيهِ خُرُوجَ الْقَائِمِ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)– قَالَ: «ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى الْمَقَامِ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيَنْشُدُ اللَّهَ حَقَّهُ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ): هُوَ وَاللَّهِ اَلْمُضْطَرُّ فِي قَوْلِهِ: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُبَايِعُهُ جَبْرَئِيلُ، ثُمَّ الثَّلاَثُمِائَةِ وَالثَّلاَثَةَ عَشَرَ

---

[1]– المائدة: 48.

[2]– الكهف: 47.

رَجُلاً؛ فَمَنْ كَانَ ابْتُلِيَ بِالْمَسِيرِ وَافَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُبْتَلَ بِالْمَسِيرِ فُقِدَ عَنْ فِرَاشِهِ، وَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ):هُمُ الْمَفْقُودُونَ عَنْ فُرُشِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً –قَالَ–:اَلْخَيْرَاتُ الْوَلاَيَةُ»"[1].

إن أصحاب القائم (عليه السلام) يجمعهم الله تعالى من أقطار الأرض المختلفة فيكون التقاؤهم عند البيت الحرام بين الركن والمقام ومعهم جبرئيل (عليه السلام) فيبايعون الإمام الحجة (صلوات الله عليه) ومن تلك الساعة تبدأ مسيرة الإصلاح والعدل والحكم بما أنزل الله تعالى بعد أن امتلأت الأرض جوراً وظلماً.

وفي هذهِ الرواية نفسها نجد أن الإمام (عليه السلام) أشار إلى آية نزلت في المهدي من آل محمد (صلوات الله عليهم) وهي قوله تعالى: " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ"[2].

فما هي اللازمة المعرفية التي تدل على أن المضطر المذكور في سياق الآية هو الإمام الحجة (عليه السلام) ولماذا لا يكون هذا المضطر كأي مضطر من الناس يدعو الله فيستجيب الله له، فلماذا هذا التخصيص؟

إن الجواب على هذا السؤال نستطيع أن نستخلصه من سياق الآية نفسها من دون الحاجة إلى أية رواية تثبت هذا المعنى الذي يراد به التخصيص

فلو تدبرنا في السياق لوجدنا اللازمة المعرفية التي تثبت هذا التخصيص وهي الوعد الإلهي بأنَّ يستجيب الله تعالى دعاءَ ذلك المضطر ويجعله خليفة في الأرض، فهذا وعدٌ من الله تعالى يتجلى لنا على طول الخط في الآيات الكريمة والروايات الشريفة التي تحدثنا أن الأرض يرثها الصالحون من عباد الله وأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق تبقى إلى قيام الساعة و إلى هذا المراد أشارت النصوص التي تتضمن هذه المعاني الجليلة.

---

[1]– البرهان في تفسير القرآن: 2: 18.

[2]– النمل: 62.

إن سياق الآية ينفي أن يكون المضطر أي شخص من الناس فليس كل مضطر استجاب الله دعوته وجعله خليفة في الأرض، وهل خلافة الله في الأرض متاحة لكل شخص؟ فالتخصيص المذكور في الرواية الشريفة على لسان إمامنا الباقر (عليه السلام) يتفق تماماً مع اللازمة المعرفية الواردة في سياق الآية الكريمة.

ولابدَّ من الإشارة إلى أن آيات القرآن الكريم لها عدة مستويات من الفهم ومعرفة المقاصد، فوجوه الآية عند أهل البيت متعددة وكثيرة وكما جاء في الروايات أن الآية من كتاب الله عز وجل لها سبعون وجهاً، وهذهِ الآية الكريمة التي تحدثنا عن المضطر بالتخصيص المذكور لا تنفي استجابة الدعاء للشخص المضطر الذي يتوجه الى الله عز وجل بالدعاء ليكشف الله كربه ويقضي حاجته، فالله تعالى قريب يجيب دعوة من دعاه وسميع يسمع نداء من ناجاه، ولكن المصداق الأول لهذهِ الآية في تفسير معنى المضطر هو الإمام الحجة من آل محمد (صلوات الله عليهم).

وفي قوله تعالى: " رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[1].

"عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قَالَ: «مَنْ أَحَبَّنَا فَهُوَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ». فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مِنْكُمْ؟ قَالَ: مِنَّا وَاللَّهِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي؟"[2].

قبل أن ندخل في مضامين الرواية الشريفة التي فيها تفسيرٌ وبشارةٌ معاً لابد أن نتدبر في سياق هذهِ الآية من سورة إبراهيم المباركة إذ جاءت هذهِ الآية في سياق جملةٍ من الآيات التي تحدثنا عن رافع لواء عقيدة التوحيد الذي نُسِبَت إليه الملة وهو إبراهيم الخليل (عليه السلام)، قال تعالى: " مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ"[3].

إن سورة إبراهيم حدثتنا عن عقيدة التوحيد الخالص وما جرى من أحداث قد ترتبت على هذه العقيدة ومنها بناء الكعبة والدعاء عندها وإقامة الصلاة والإشارة إلى أن النبوة في ذرية إبراهيم وأن الإمامة عهدٌ من الله إلى ذريته الطاهرة وهم الأئمة من آل محمد (صلوات الله عليهم).

---

[1]– إبراهيم: 36.

[2]– تفسير العياشي: 2: 231.

[3]– الحج: 78.

لقد كان السياق في جميع الآيات التي حدثتنا عن إبراهيم هو سياقٌ عقائدي ينقسم فيه الناس إلى مؤمن وكافر، ولذلك نجد إبراهيم (عليه السلام) قد قال (فمن تبعني فإنَّه مني) فهذا القول يتجاوز حدود الأنساب إلى أفق أوسع بكثير، فالنسب له حرمة عند الله تعالى ولكن تسقط حرمته عندما يكون على حساب العقيدة التي ينقسم فيها الناس الى مؤمن وكافر، ولقد دعا إبراهيم (عليه السلام) أباه أن يدخل في دين الله تعالى فأبى وهدد ابراهيم بالرجم، وبغض النظر عمّن يكون أباه، هل هو والده أم عمه؟ فهذا ليس موضع بحثنا.

إن العقيدة هي التي توحد المؤمنين بها وإن لم يكن بينهم قرابة في النسب وتفرَّق الأقارب إن وقع الاختلاف بينهم عليها بدليل قوله تعالى: " وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ"[1].

فقد تبرأ إبراهيم من أبيه مع أنه الأقرب إليه في النسب من غيره.

وفي قوله: "فمن تبعني فإنَّه مني" بشارة لكل مؤمن آمن بهذهِ الدعوة المباركة فالعقيدة هي محور القرابة في القرآن الكريم عليها يكون الاجتماع وبسببها يكون الاختلاف، وهذه القاعدة التي أثبتها الله تعالى في كتابه على لسان نبيه إبراهيم (عليه السلام) جارية في الأمم التي جاءت بعد إبراهيم ومنها هذهِ الأمة، فمن تولى الأئمة من آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) واتبع نهجهم وسار على هديهم فهو منهم كما قال الباقر (عليه السلام) حتى أن السائل تعجب من قول الإمام فأعاد عليه السؤال لأنها بشارة عظيمة، وأي بشارة تلك التي تجعل المؤمن يُحشر يوم القيامة وهو في زمرة محمد وآله (صلوات الله عليهم).

وهذا الصنف من الآيات الكريمة التي تجري مجرى الشمس والقمر شأنها شأن بقية آيات القرآن الكريم قد أطال الأئمة (عليهم السلام) الوقوف عندها وتفسيرها، فهذه الآيات قد جرت في الأقوام والأمم السابقة وهي تجري فيمن جاء بعدهم كما تجري الشمس والقمر وان الآية لا تموت كما قال الباقر (صلوات الله عليه) بموت من نزلت فيهم الآية وقد مرّت هذهِ المعاني علينا في أكثر من موضعٍ من البحث إذ أن أكثر الآيات في القرآن الكريم لها عدة مصاديق تتناسب مع كل زمان ومكان وهذا من عظمة كتاب الله العزيز.

---

[1]– التوبة: 114.

ولابد من إيضاح شيء في غاية الأهمية فيما يخص سياق الخطاب القرآني عند الأئمة من آل محمد (صلوات الله عليهم) وهو أن بعض الآيات لا يكون اتصال السياق فيها حجةً، فلا يمكن الاحتجاج في تفسيرها من خلال السياق فإن الآية قد يكون أولها يتكلم عن شيء وآخرها يتكلم عن شيء آخر، والآيات في القرآن على هذهِ الشاكلة كثيرة جداً وستأتي الشواهد خلال البحث بعد هذه الرواية الشريفة التي تثبت هذا المعنى.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "إن الآية لينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء"[1].

من قوله تعالى: (عليه السلام) تفهم أن السياق قد لا يكون سلطاناً مطلقاً في فهم النص القرآني، وهذا لا يعني أن تقلل من شأن السياق ولكن هذه الرواية تؤطر حاكمية السياق في علم تفسير القرآن ومعرفة مقاصده الإلهية، ولو تدبرنا وأمعنا النظر في الكثير من آيات القرآن لوجدنا هذهِ الحقيقة واضحةً جليةً، والشواهد القرآنية في هذا الشأن كثيرة، ومنها:

قوله تعالى: " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[2].

نلاحظ أن الآية الكريمة تتحدث عن اللحوم المحرمة وأحكامها ثم تأتي آية إكمال الدين وإتمام النعمة في منتصف السياق وهذه الآية نزلت بعد حجة الوداع في يوم الغدير عندما أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) البيعة من المسلمين لأخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم يعود السياق ليحدثنا عن اللحوم المحرمة والرخصة في تناولها.

---

[1]– تفسير العياشي: 1: 17.

[2]– المائدة: 3.

إن آية إكمال الدين نزلت في يوم الغدير عندما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من كنت مولاه فعليٌ مولاه" والكثير من كتب الحديث والتفسير أشارت الى هذا المعنى[1].

ومن الشواهد أيضاً آية التطهير التي وردت في سياق الحديث عن نساء النبي (صلى الله عليه وآله) فآية التطهير قد نزلت في الخمسة أصحاب الكساء في مشهد عظيم كان سادسهم فيه جبرئيل (عليه السلام)، وآية التطهير آية تدل على العصمة المطلقة، وستأتي التفاصيل بعد أن تتدبر في سياق الخطاب القرآني في قوله تعالى:

" وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"[2].

لو نلاحظ سياق الكلام في سورة الأحزاب نجد أن الخطاب توجه لبيوت نساء النبي بصيغة المؤنث إلا هذا البيت إذ جاء الخطاب فيه بصيغة المذكر ما يدل على خصوصيته وانفراده بمزية ليست لغيره.

ثم أن الآيات التي حدثتنا عن نساء النبي أعطت احتمالاً صادماً لكل من يتوهم أن هذهِ الآية نزلت في نسائهِ (صلى الله عليه وآله) وهذا الاحتمال نجده في قوله تعالى: " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً"[3].

فهناك احتمال قائم في أن تأتي أحدى نساء النبي بذنب كبقية الناس، وهذا صريح القرآن الكريم، فكيف يشهد القرآن بعصمة نسائه (صلى الله عليه وآله) مع قيام هذهِ الاحتمالية.

إنا هنا لا نطعن في نساء النبي (صلى الله عليه وآله) ولا نريد أن تخوض في مسائل دينية خلافية وإنما تدرس سياق الخطاب القرآني إذ أن السياق جعل هناك احتمالية لوقوع الذنب من نساء النبي، ولكنه لم يجعل هذه الاحتمالية مع أهل البيت (صلوات الله عليهم).

---

[1]- ينظر: الكافي: 6: 120.

[2]- الأحزاب: 33.

[3]- الاحزاب: 30.

إن آية التطهير نزلت في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) فقط دون غيرهم[1].

إن السياق في آية التطهير مع المرويات الشريفة يشهدان بأن هذه الآية تخص أهل البيت الخمسة (صلوات الله عليهم) دون غيرهم.

[1]– ينظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري ت (261هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1374هـ–1955م: 4: 1883.

الفصل الثانـي

المضمون

- **المبحث الأول: تصنيف الآيات بحسب موضوعاتها**
- **المبحث الثاني: النص القرآني في بُعديه التنزيلي والتأويلي**

هذا الفصل يسلَّط الضوء على مضامين آيات الكتاب الكريم التي بيَّنها الإمام الباقر (عليه السلام) في مروياته الشريفة، وكيف قسَّمها الإمام (عليه السلام) وبيَّن ما التبس منها على المسلمين إذ نلاحظ تعدَّد الآفاق في فهم الآية الواحدة وتباين المستويات المعرفية في الآية الواحدة فعندما نقرأ تفسير الأئمة (عليهم السلام) للقرآن ندرك أن القرآن يحتوي على جوامع الكلم وأن كلام الله عز وجل له من العمق وتعدد المقاصد ما ليس لغيره، وهذا راجع بالطبع إلى كون الائمة (صلوات الله عليهم) هم الراسخون في العلم الذين آتاهم الله علم الكتاب كله، قال تعالى: " قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ"[1].

وقد مرَّ علينا هذا المعنى في التمهيد تحت عنوان المعرفة الوحيانية، وقبل أن ندخل في مضامين القرآن التي ذكرها مولانا أبو جعفر (صلوات الله عليه) لابدّ أن نقف بإيجاز عند أهمية المضمون عند علماء العربية، وهل مضمون القرآن يختلف عن مضامين النصوص الأدبية كالشعر والنثر الفني اللذين يمثلان الجانب الإبداعي في تراثنا اللغوي العربي؟

إنَّ النص يتألف من الشكل والمضمون أو بعبارة أخرى من الألفاظ والمعاني، فاللفظ حاملٌ للمعنى، وقد وقف علماء العربية من القدامى والمحدثين طويلاً عند مسالة اللفظ والمعنى وانقسموا إزاء هذهِ المسألة إلى من أعلى من شأن اللفظ على المعنى أو العكس أو ساوى بين الاثنين.

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى (255هـ) من أوائل العلماء الذين وقفوا عند هذهِ المسألة، وأدلى بدلوه في أكثر من موضع في كتبه الأدبية الرائعة كالبيان والتبيين والحيوان، وجاء من بعده نخبة من العلماء ممن وقفوا على هذهِ المسألة ومنهم ابن قتيبة (276هـ) والجرجاني (471هـ).

ولابد هنا من الوقوف عند قول الجاحظ في هذه المسألة إذ يقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنسٌ من التصوير"[2].

---

[1]– الرعد: 43.

[2]– الحيوان: 2 : 219.

لو تأملنا كلام الجاحظ لوجدناه ينطبق على كلام العرب كالشعر والنثر، فالمعاني فيه مبسوطة على قارعة الطريق يعرفها العرب والعجم وأهل المدن والقرى، ولكن هذا لا يكون مع القرآن الكريم إذ أن معاني القرآني ليست مطروحة في الطريق لأنه ما من شيء أبعد من العقول من تفسير القرآن، وقد قال الباقر (عليه السلام): "ليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن"[1].

من كلامه (عليه السلام) نستنتج أن معاني القرآن لا يمكن إصابتها من خلال الاجتهادات الشخصية وإعمال الفكر من دون الرجوع إلى ترجمان القرآن وهم الأئمة (صلوات الله عليهم)، فمعاني القرآن ليست كمعاني الشعر التي يعرفها الأعراب من سكان الجزيرة العربية، ولهذا فإنَّ علم التفسير لم يكن متاحاً لكل شخص وعلم التأويل قد استودعه الله في الراسخين في العلم دون غيرهم، ومن هنا نستطيع القول أنَّه لا يمكن دراسة النص القرآني ومعرفة مقاصدهِ بنفس الطريقة التي يدرس فيها النص الأدبي كالشعر أو النثر، فالشعر والنثر فيهما مقاصد بشرية؛ لأن منتج النص فيهما بشر، أما النص القرآني فهو كلام الله ومقاصد كلامه عز وجل لا يعرفها إلا من استودعه الله تلك المقاصد، ومن هذه الجزئية المهمة ينطلق بحثنا هذا.

[1]– العياشي: 1: 17.

المبحث الأول

تصنيف الآيات بحسب موضوعاتها

إنَّ العلماء القدامى الذين ألفوا في علوم القرآن ومعانيهِ وتفسيره حاولوا أن يصنفوا آيات القرآن الكريم بحسب موضوعاتها، فالقرآن كتاب جامع لكثير من العلوم فمنها علم الحلال والحرام وعلم السنن والأمثال وعلم المجمل والمفصل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، ولكن لو دققنا النظر في تصنيفاتهم لوجدناها لا تتعدى مجرَّد تصنيفات خالية من المصاديق التطبيقية التي تثبت المفاهيم التصنيفية التي افترضوها ولكن هذا الأمر لا نجده في حديث أهل البيت (صلوات الله عليهم)، فالأحاديث التفسيرية الشريفة تشير إلى المفاهيم والمصاديق معاً، ولهذا نجد أن الصورة التي يرسمها الإمام (عليه السلام) عن مضامين الكتاب الكريم متكاملة اللقطات تخلو من أي إبهام أو غموض أو اضطراب كما نجده عند علماء التفسير في إمهات كتب التفسير في المكتبة الإسلامية أو عند الذين كتبوا في علوم القرآن من القدماء والمحدثين.

إنَّ الإمام الباقر وولده الصادق (صلوات الله عليهما) صنَّفوا آيات القرآن عدة تصنيفات ولكل تصنيف هناك معيارٌ محدد بحيث لا نجد أي تناقض أو اختلاف بين تصنيفٍ وآخر.

لقد روي عنه (عليه السلام) في كتب الحديث والتفسير أكثر من تصنيف لآيات القرآن الكريم سنذكرها ونذكر شواهدها التطبيقية لتتسَّق المصاديق مع المفاهيم ولتكتمل اللوحة المعرفية لمعاني القرآن الكريم في ضوء تفسيرهم الشريف (صلوات الله عليهم).

وتصنيفات الباقر (عليه السلام) لآيات القرآن على النحو الآتي:-

أولاً: التصنيف الثنائي

"عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ نَاسِخاً وَ مَنْسُوخاً»[1].

[1]- تفسير العياشي: 1: 11.

قبل ان نتحدَّث عن الناسخ والمنسوخ لابدَّ لنا من معرفة هذين المصطلحين وما المراد منهما وفق منهج الثقلين – منهج الكتاب والعترة– فلا نريد أن نعرَّف هذين المصطلحين كما عرَّفهما علماء التفسير أو غيرهم بل نقتصر على ما جاء في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

"عن مسعدة بن صدقة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الناسخ والمنسوخ فقال: الناسخ الثابت المعمول به، والمنسوخ ما قد كان يعمل"[1].

إنَّ هذا التعريف الذي ذكره إمامنا الصادق (عليه السلام) والذي بيَّن فيه ماهية الناسخ والمنسوخ قد نجده عند الكثير من المفسرين ولكن الاختلاف الذي وقع بين أهل التفسير وبين أهل البيت (عليهم السلام) كان في مسألة نسخ التلاوة حيث أنَّ هناك من الآيات قد نُسخت تلاوتها ولكن هذا المعنى لا نجده في حديث أهل البيت (عليهم السلام)، وقد شملت هذه المسألة بعض آيات القرآن المنسوخة تلاوةً لا حكماً كآية الرجم المروية في كتب الصحاح[2]، وليس البحث في هذا المقام.

إنَّ القرآن الكريم قد راعى التطور التدريجي للمجتمع الإسلامي فعند نزول القرآن في بداية الرسالة المحمدية الشريفة كان الاهتمام ينصب على العقائد وبالأخص عقيدة التوحيد، فكان الإسلام أوَّل نزول القرآن مهتماً بإنشاء منظومة فكرية سليمة تؤدي الى صحة الاعتقاد وسلامته، وبعد ذلك نجد التقدَّم التدرجي لهذهِ الرسالة فتتسع معارفها ودائرة تشريعاتها لتشمل جميع جوانب الحياة في الدنيا والآخرة.

ومن هذا المنطلق الذي يراعي التدرج في الوصول إلى تكامل الشريعة الإسلامية معرفياً في نفوس المؤمنين واتساع حيّز تطبيقاتها في تفاصيل حياتهم القائمة على هذهِ المنظومة الإلهية جيء بالناسخ والمنسوخ، فالمنسوخ حكم نافذٌ من الله عز وجل في الشريعة لمدة محدودة تتناسب مع معطيات ذلك الزمان ومستويات إدراك الناس آنذاك ليأتي بعده الحكم الجديد وهو الناسخ فيحل محله فيكون العمل بالناسخ لا بالمنسوخ.

ولابدَّ من الاشارة الى أن قاعدة الناسخ والمنسوخ لا تشمل جزئيات معينة داخل النص القرآني فقط أي أنها ليست مسألة مقتصرة على مضامين القرآن فقط، وإنما تتجاوز ذلك بكثير فالقرآن

---

[1]– المصدر السابق.

[2]– صحيح البخاري: رقم الحديث (6442).

بناسخهِ ومنسوخه هو ناسخ للتوراة والإنجيل، وهذا هو نسخ شريعة كاملة لتحل محلها الشريعة الجديدة المناسبة لمتطلبات العصر وادراك الانسان، فالشرائع الالهية قد تتغيَّر من زمان الى زمان بحسب ما تقتضيه الحاجة إلى ذلك التغيير.

إنَّ اختلاف الشرائع وتطورها لا يعني أبداً اختلاف الدين، فالإسلام هو دين الله الوحيد ولا دين غيره، ولكن الشرائع مختلفة من زمان إلى زمان آخر، ولو تدبرنا قليلاً في القرآن الكريم لوجدنا أن الدين واحد ولكن الشرائع متعددة.

فالأنبياء والرسل (عليهم السلام) كلهم كانوا يعبدون الله تعالى على دين الاسلام والقرآن يشهد بهذهِ الحقيقة، وهذهِ الآيات الكريمة تحدثنا عن الدين الواحد – دين الإسلام– لجميع الانبياء (عليهم السلام).

قال تعالى حكاية عن نبيه نوح (عليه السلام): " فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ"[1].

وقال تعالى حكاية عن نبيه إبراهيم (عليه السلام): "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[2].

وقال تعالى حكاية عن نبيه يعقوب (عليه السلام): " وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"[3].

وقال تعالى حكاية عن في نبيه موسى (عليه السلام): " يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ"[4].

---

[1]– يونس: 72.

[2]– البقرة: 127–128.

[3]– البقرة: 132.

[4]– يونس: 84.

وقال تعالى حكاية عن نبيه عيسى (عليه السلام): " فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"[1].

وقال تعالى حكاية عن نبيه سليمان (عليهم السلام): " إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ"[2].

وأما رسول الله الأكرم ونبيه الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) فقد أنزل الله تعالى عليه قوله: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[3].

وقال سبحانه: "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ"[4].

هذه الآيات الكريمة من كتاب الله العزيز كلها تشهد أن الدين واحد وهو الإسلام ولا يوجد تعدد في الأديان، أما هذا التعدد الذين نشهده بين الناس والتفرّق والاختلاف في الأديان إنما هو نتيجة الضلال والانحراف عن دين الله الواحد الذي دان به جميع الأنبياء والرسل (عليهم السلام).

ولهذا لا يصح أن يقال أن الإسلام نسخ الأديان السماوية السابقة؛ لأنه في الأصل لا وجود لأديان سماوية متعددة وإنما هو دين واحد، ولكن الصحيح هو أن الشريعة التي جاء بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي خاتمة الشرائع، والأحكام التي وردت فيها يجب العمل بها دون غيرها من الشرائع السابقة كاليهودية والنصرانية؛ لأنها الشريعة التي ختم الله بها الشرائع.

كان هذا الإيضاح لمعنى النسخ فيما يخص الشرائع المتعددة بتعدد الأزمنة وطبيعة التشريع الذي يناسب كل أمة في وقتها.

---

[1]- آل عمران: 52.

[2]- النمل: 30-31.

[3]- آل عمران: 19.

[4]- آل عمران: 85.

وننتقل إلى الناسخ والمنسوخ داخل النص القرآني، فهناك من الآيات ما لا يمكن العمل به؛ لأن حكمها منسوخ بآيات أُخَر نزلت بعدها، فالحكم المعمول به هو الحكم الأخير ولذلك فإنَّ الناسخ حاكمٌ على المنسوخ كما أن الخاص حاكم على العام والمحكم حاكم على المتشابه.

ومن الناسخ والمنسوخ في القرآن: "عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: "فاتَّقوا الله ما استطعتم" جاءت ناسخة لقوله تعالى: "فاتقوا الله حقّ تقاته"[1].

إنَّ الآية المنسوخة هي من سورة آل عمران والآية الناسخة من سورة التغابن، وكلا الآيتين أمرتا بالتقوى ولكن الاختلاف بينهما هو أنَّ الآية الأولى تأمر بتقوى الله عز وجل كما ينبغي وكما يريد سبحانه وهذا في الحقيقة في غاية الصعوبة فمن ذا الذي يستطيع أن يتقي الله حق تقاته من عوام المسلمين، ولهذا جاءت الآية الأخرى لتخفف الحكم الذي تضمنتهُ الآية الأولى وبهذا فإنَّ التقوى لها درجات تختلف وتتباين من شخص إلى آخر بحسب الاستطاعة، فيمكن أن يكون هذا أتقى من ذاك وفقاً لدرجة الاستطاعة التي وفقه الله تعالى بها.

ولو بقي الحكم الأوَّل الذي تضمنته الآية من سورة آل عمران سارياً في الأمة لكان جميع المسلمين من الهالكين يوم القيامة؛ لأنه من المستحيل أن تصل بنا درجة التقوى إلى أن نتقي الله حق تقاته، وقد قال تعالى: " وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ"[2].

وقال تعالى: " وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً"[3].

وإلى تصنيف آخر لآيات القرآن الكريم وهو تصنيف الآيات وفق موضوعاتها المعرفية كما في هذه الرواية.

"عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْحَجَّاجِ الْكَرْخِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، رَفَعَهُ إِلَى خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "يَا خَيْثَمَةُ، الْقُرْآنُ نَزَلَ أَثْلاَثاً: ثُلُثٌ فِينَا وَ فِي أَحِبَّائِنَا، وَثُلُثٌ فِي أَعْدَائِنَا وَعَدُوِّ

---

[1]– البرهان في تفسير القرآن: 10: 312.

[2]– النحل: 61.

[3]– فاطر: 45.

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، وَثُلُثٌ سُنَّةٌ وَمَثَلٌ. وَلَوْ أَنَّ الْآيَةَ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ ثُمَّ مَاتَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ مَاتَتِ الْآيَةُ، لَمَا بَقِيَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ يَجْرِي أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ آيَةٌ يَتْلُونَهَا، هُمْ مِنْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرَّ "[1].

إنَّ المضامين التي ذكرت في هذه الرواية الشريفة قيمة جداً لابد من الوقوف عليها بالتفصيل، فهذهِ الرواية من الروايات الجامعة للمعارف القرآنية والقواعد التفسيرية التي يمكن من خلالها أن نفهم الكثير من الآيات حتى لو لم توجد لدينا روايات في تفسيرها، وقد تضمنت هذهِ الرواية عدة نقاط وهي كالتالي:-

أولاً: انَّ القرآن الكريم ينقسم إلى ثلاثة أثلاث، فالثلث الأول نزل في أهل البيت (عليهم السلام) وذكر فضائلهم وما شرَّفهم الله به وذكر أحبائهم وشيعتهم.

اما الثلث الثاني فهو في ذمّ أعدائهم وعدوّ من كان قبلهم من الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، وأما الثلث الثالث فهو يتضمن السنن والأمثال القرآنية.

ونريد أن نلتمس شاهداً قرآنياً لكل ثلث من هذهِ الأثلاث ليتضح هذا التصنيف الذي جاء على لسان مولانا أبي جعفر (عليه السلام).

فيما يخص الثلث الأول الذي قال فيه الإمام أنه نزل فيهم وفي أحبائهم فالشواهد عليه كثيرة جداً، منها قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ"[2].

فقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنَّ المقصود بـ(خير البرية) هو علي (عليه السلام) وشيعته[3].

---

[1]- تفسير العياشي: 1: 10.

[2]- البينة: 7.

[3]- ينظر: روضة الواعظين، الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري ت (508هـ)، منشورات الرضي، قم، ط1، 1386هـ: 105.

والمناقب، أبو المؤيد أحمد بن محمد البكري الحنفي ت (568هـ)، إصدار مكتبة نينوى الحديثة، طهران، ط1، 1408هـ: 3: 68.

إنَّ الآيات النازلة في فضائل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) كثيرة جداً ليس المقام منعقداً لإيرادها، وإنَّما كانت هذهِ الآية من سورة البينة المباركة مصداقاً من مصاديق الثلث الأول من قول الباقر (عليه السلام) في تقسيمه للقرآن على ثلاثة أثلاث، فالثلث الأول نزل في فضائل آل محمد (صلوات الله عليهم) يذكر فضلهم ومنزلتهم عند الله تعالى وكذلك منزلة شيعتهم الذين اتبعوهم وأطاعوهم وخالفوا أعداءهم.

أما الثلث الثاني من القرآن الكريم فهو الثلث الذي ذمّ الله تعالى فيه أعداء أهل البيت (عليهم السلام) وذمّ أشياعهم الذين وقفوا معهم جنباً إلى جنب في معاداة الائمة (صلوات الله عليهم)، وقد أشارت الروايات الشريفة في أكثر من موطن من مواطن تفسير القرآن فيما يخص هذا الثلث الى هذا المعنى المطرّد في آيات الكتاب الكريم، ومن الشواهد قوله تعالى: " ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ"[1].

"عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) : كان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله عز وجل: (في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) وكان فرعون هذهِ الأمة"[2].

أما الثلث الثالث ففيه قسمان (سنةٌ ومثلٌ)، فأما السنن التي ذكرها الله تعالى في كتابه فهي كثيرة جداً منها ما يندرج تحت السنن التكوينية وما سبّبه الله تعالى من الأسباب ومنها ما يندرج تحت السنن التشريعية، ومن هذهِ السنن الإلهية التي أجراها الله في عباده (سنة الاستخلاف) وهي من السنن التي لا تتغير ولا تتبدل وهي جارية على كل الناس من الماضين والذين جاءوا من بعدهم، فلا تدوم الحال لقوم أو لأمة مهما طال الزمان ومهما طالت أيام حكمهم وتمكينهم في الأرض، ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا الكثير من الآيات تحدثنا عن هذهِ السنة، ومنها:

قوله تعالى: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ"[3].

---

[1]– الحاقة: 32.

[2]– الكافي: 4: 244.

[3]– الأعراف: 74.

في هذهِ الآية يخاطب نبي الله صالح (عليه السلام) قومه قوم ثمود ليذكرهم بنعمة الله عليهم من خلال سنة الاستخلاف؛ وذلك بجعلهم خلفاء في الأرض من بعد هلاك قوم عاد الذين كذبوا نبي الله ورسوله هود (عليه السلام)، وهذا التذكير من قبل نبي الله صالح لقومه لا يراد منه أن يشكروا الله على نعمة الاستخلاف فقط وإنما هو للعبرة والتذكرة ليعتبروا بمن كان قبلهم وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله تعالى بسبب كفرهم وجحودهم وتكذيبهم لنبيهم هود (عليه السلام).

وقوله تعالى: " قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[1].

في هذهِ الآية المباركة يدور حوارٌ بين موسى النبيّ (عليه السلام) وبين قومه المستضعفين في الأرض وهم بنو إسرائيل الذين اتخذهم فرعون عبيداً يقتل رجالهم ويستحيي نساءَهم فيبشرهم موسى بسنة الاستخلاف التي إن رآهم الله تعالى أهلاً لها فإنَّه يستخلفهم في الأرض ويهلك فرعون وهذا ما قد حدث بالفعل، فقال تعالى: " فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ"[2].

وسنة الاستخلاف جارية على جميع الأمم فالشاهد الأول كان في قوم ثمود والثاني في قوم موسى، وهذا شاهد ثالث في قوم عاد.

قال تعالى: " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ"[3].

إنَّ جميع الشواهد القرآنية التي ذكرت فيها سنة الاستخلاف كانت في أمم ماضية لقوم عاد وقوم ثمود وبني إسرائيل، ولكن القرآن لم يؤطر سنة الاستخلاف بإطار الماضي وإنما أجراها على جميع

---

[1]- الأعراف: 129.

[2]- الأعراف: 136-137.

[3]- هود: 57.

الأمم من الماضين واللاحقين، فنجد القرآن يحدثنا عن استخلاف سيحدث في آخر الزمان أي في المستقبل.

قال تعالى: " أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ"[1]. فسنة الاستخلاف ستجري في المستقبل كما جرت في الماضي، فالأرض لله يورثها من يشاء.

والقسم الثاني من الثلث الثالث من القرآن الكريم هو (المثل)، فقد ضرب الله تعالى في كتابهِ الأمثال للناس ليتفكروا وليتدبروا في بديع خلق الله وعظيم آياته، والأمثال في القرآن كثيرة ولا تقتصر على الأمم الماضية فقط وإنما أجراها الله عز وجل في هذهِ الأمة، ولذلك أمر الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) أن يتلو على أمته هذا المثل ليعتبروا به، فقال: " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ"[2].

وهذه الآيات نزلت في رجل من بني إسرائيل اسمه بلعم بن باعوراء قد آتاه الله الاسم الأعظم وكان من خيرة العباد في قوم موسى (عليه السلام) فضل الطريق وآثر هواه على دينه فشبهه الله تعالى بالكلب الذي يلهث دائما[3].

لقد ذكر الله تعالى الكثير من الحوادث التأريخية وضربها مثلاً لهذهِ الأمة والأمثال في القرآن كثيرة ومنها المثل المتقدم ذكره.

---

[1]- النمل: 62.

[2]- الأعراف: 175-177.

[3]- مجمع البيان: 4: 769، والبرهان في تفسير القرآن: 2: 616، وينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري، ت468هـ، دار القلم، دمشق، ط1، 1415هـ: 421، وتفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن احمد المحلي، ت864هـ، دار الحديث، القاهرة، ط1، د.ت: 221، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الانصاري ت 711هـ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1402هـ: 5: 247.

ثانياً: أنَّ القرآن يجري على الآخرين كما جرى على الأولين فآياته تتصف بالحياة، فالنص القرآني نص حي لا يموت بموت الأقوام الذين نزلت فيهم الآيات، وإنَّما تجري على الذين يأتون من بعدهم كما جرت على الذين نزلت فيهم.

وهناك الكثير من الروايات الشريفة التي حدثتنا عن كون الآيات تجري مجرى الليل والنهار في الأقوام المختلفة، ومنها:

"مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَمَّدِيِّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ، إِلَى آخِرِ الْكَلاَمِ: "نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، وَجَرَتْ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ مَثَلاً"[1].

إنَّ يوم القيامة ينقسم الناس فيه إلى قسمين: قسمٌ يُؤتى كتابهِ بيمينه، وهم أصحاب الجنة، وقسمٌ يؤتى كتابه بشماله وهم أصحاب النار، وهذهِ الآية التي تحدثنا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بوصفهِ المصداق الأول في الآية الكريمة لا يمكن أن تكون قد نزلت فيه من دون أن يكون لها مصاديق أخرى، فكل مؤمن يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة تنطبق عليه الآية الكريمة مع الأخذ بنظر الاعتبار أنها نزلت في الأمير (عليه السلام) أصالةً وتنطبق على أهل الأيمان من بعده انطباقاً نسبياً؛ لأن مصداقها الأكمل هو أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه).

وبهذا تكون آيات القرآن تتصف بالحياة ولا تموت بموت الأقوام الذين نزلت فيهم، فالآيات التي نزلت في المؤمنين في عصر صدر الإسلام تجري على كل مؤمن عمل بتلك الاعمال الصالحة التي أثنى الله على أصحابها في عصر الإسلام الاول وله ثواب اولئك المؤمنين الذين نزلت فيهم الآيات، وهو الحال كذلك مع أهل الكفر والنفاق، فإنَّ الآيات النازلة في المنافقين في صدر الاسلام تجري على المنافقين الى يوم القيامة، ولهم من الإثم والوزر ما على المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات الكريمة.

[1]– تأويل الآيات: 2: 717.

ولهذا نجد الكثير من الروايات الشريفة تصف القرآن بأنَّه حي لا يموت وأنه يجري على الناس كما تجري الشمس والقمر، ولا يموت القرآن بموت الأقوام الذين نزل فيهم، فهو عهدٌ من الله إلى خلقهِ والمعجزة الباقية حتى يرث الله تعالى الأرض وما عليها.

بقي أن نشير إلى مسألة في غاية الأهمية وهي عند قراءة كتب الحديث الشريف المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) وكتب التفسير كذلك المروية عنهم نجد أن الآية الواحدة تفسرها أكثر من رواية، فقد نجد أكثر من عشرين رواية في تفسير آية واحدة وكل رواية فيها من المضامين ما يختلف عن مضامين الروايات الاخرى، فهل هذا تناقض واختلاف بين الروايات؟ وبأي رواية نأخذ؟

فإن هذا الأمر مما وصفه الإمام الباقر (عليه السلام) بأنه تصنيف لموضوعات الآيات الكريمة، فقد جاء مروياً "عن زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قَالَ: "تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ؛ مِنْهُ مَا كَانَ، وَمِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ، بَعْدَ ذَلِكَ تَعْرِفُهُ الْأَئِمَّةُ"[1].

من هذا الحديث نستنتج أن القرآن يحتوي على جوامع الكلم وتعدد المقاصد في الآية الواحدة، وهذا من أوجه الإعجاز القرآني، فالقرآن ليس معجزاً بأساليبهِ وعباراتهِ فقط، وإنما هو معجزٌ في مضامينهِ ومعانيه العظيمة ومقاصده العميقة والكثيرة وكل هذهِ الخصائص نجدها في نصٍ موجز لا يتعدى المجلد الواحد المتمثل بالمصحف الشريف.

فلكل آية سبعة أوجه في تفسيرها وهذا التعدد في أوجه التفسير لا يعني الاختلاف وانما يدل على سعة النص القرآني وثرائه معرفياً، ولهذا نجد روايات التفسير الشريفة تتعدد وتختلف في مضامينها في تفسير الآية الواحدة من القرآن الكريم.

وأما قوله (عليه السلام): "منه ما كان" فإنه يدل على تحقق التأويل القرآني لبعض الآيات التي أخبرت عمّا سيحدث في قادم الايام وقد تحقق على أرض الواقع، فالتأويل هو تحقق النبوءة كما في قوله تعالى: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"[2].

---

[1]– بصائر الدرجات: 216.

[2]– يوسف: 4.

هذهِ نبوءة أخبر الله بها نبيه يوسف في عالم الرؤيا وقد تحققت على أرض الواقع عندما جمعه الله بأبويه وإخوته بعد أن حدث ما حدث في قصته المعروفة فقال تعالى: " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ"[1].

فلما سجد له أبواه وأخوته بعدما رفع أبويه على العرش قال لأبيه "هذا تأويل رؤياي" أي انها قد تحققت بقوله: "قد جعلها ربي حقاً" فهي حقيقة على أرض الواقع وليست مجرد رؤيا في المنام فقط وإنما صار لها وجود حقيقي.

ولابد من معرفة أن للآية الواحدة ظاهراً وباطناً، فقد تأتي بعض الروايات تبيَّن ظاهرها وبعض الروايات الأخرى تبيَّن باطنها وهذا لا يعني التعارض بين الروايات وإنما يدل هذا على عمق القرآن وسعة آفاقه المعرفية، وفي هذا المعنى نجد روايتين عن إمامنا الباقر (صلوات الله عليه).

الأولى: " عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: "مَا مِنْ آيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ" فَقَالَ:

"ظَهْرٌ وَبَطْنٌ هُوَ تَأْوِيلُهُ؛ مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى، وَمِنْهُ مَا لَمْ يَجِيءْ، يَجْرِي كَمَا تَجْرِي الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، كُلَّمَا جَاءَ فِيهِ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ نَحْنُ نَعْلَمُهُ"[2].

الثانية: " عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)عَنْ شَيْءٍ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَأَجَابَنِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ ثَانِيَةً فَأَجَابَنِي بِجَوَابٍ آخَرَ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كُنْتَ أَجَبْتَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِجَوَابٍ غَيْرِ هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ؟! فَقَالَ لِي: "يَا جَابِرُ، إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً، وَلِلْبَطْنِ بَطْناً وَظَهْراً، وَلِلظَّهْرِ ظَهْراً–يَا جَابِرُ–

---

[1]– يوسف: 100–101.

[2]– تفسير العياشي: 1: 11.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ لَيَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَوَسَطُهَا فِي شَيْءٍ وَآخِرُهَا فِي شَيْءٍ، وَهُوَ كَلاَمٌ مُتَّصِلٌ يُتَصَرَّفُ عَلَى وُجُوهٍ"[1].

إنَّ الروايات التفسيرية المروية عن الائمة (عليهم السلام) التي تصنَّف آيات القرآن الكريم كثيرة واكثر هذه الروايات عن إمامنا الصادق (عليه السلام) ولكننا اقتصرنا في هذا المبحث على الروايات المروية عن إمامنا الباقر (عليه السلام) كون البحث مختصاً بمروياته الشريفة فقط، فهناك تصنيف رباعي لآيات القرآن الكريم روي عن الصادق (عليه السلام)، وتوجد غيره من التصنيفات، نكتفي بما روي عن الباقر (عليه السلام)، وإنَّ فيما روي عنه معانٍ جمّة في هذا الشأن، فنجده (عليه السلام) قد أشار الى مسائل هي في غاية الأهمية كحياة النص القرآني الذي لا يموت بموت الأقوام الذين نزل فيهم النص، وأنَّ أبعد شيء عن عقول الرجال هو تفسير القرآن، وهذا يقودنا الى الاعتقاد ببطلان التفسير بالرأي من دون دليلٍ من ترجمان القرآن وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) والائمة من بعده.

وأشار الإمام (عليه السلام) إلى عمق المقاصد القرآنية وسعة آفاقه المعرفية فنجد أن لكل آية سبعة أوجه من التفسير وكلها تفهم في مقامها وسياقها التنزيلي أو التأويلي، وأن لكل آية ظهر وبطن، وأن للظهر ظهراً وبطناً أيضاً، وأن هذه المعاني العميقة والتشعبات الدقيقة لا يدركها حق إدراكها ولا يحيط بها علماً إلا الراسخون في العلم وهم الائمة من آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين).

[1]– المصدر نفسه: 1: 12.

المبحث الثاني

النص القرآني في بُعديه التنزيلي والتأويلي

لقد أنزل الله تعالى الكتاب العزيز في زمان معين استمر ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة في محيط عربي في الجزيرة العربية، وهذه الإحداثيات الزمانية والمكانية التي تحيط بالنص القرآني لا تعني ابداً محدودية هذا النص أو محليتهِ التي يمكن ان يعد بسببها خطاباً لقبائل العرب المتفرقة في صحراء الجزيرة العربية ولا يتجاوزها إلى غيرها من بقية الشعوب والأمم الإنسانية الأخرى.

إنَّ الخطاب القرآني يملك من المقدمات الحضارية وإلا يملكه خطاب آخر، وهو مفعمٌ بالأساليب المعرفية التي تؤهله ليكون رسالةً يفهمها جميع الشعوب على اختلاف اماكنهم وتباين ثقافتهم، ولقد تجاوز النص القرآني كل هذا الاتساع المعرفي إلى ان يكون صالحاً في كل زمان ومكان، وهذا يستحيل ان نجده في نص آخر من إنشاء البشر، فليس من المعقول أن نجد نصاً قبل ألف وأربعمائة سنة ينطبق على واقعنا بالتمام والكمال بل أن الواقع لا يتعدى ان يكون أفقاً من آفاق هذا النص الواسعة والرحيبة فهو يحتوي الواقع الى الدرجة التي يمكننا ان نقول ان الواقع يتضاءل عنده ليتجاوزه هذا النص إلى المستقبل القريب ثم الى المستقبل البعيد.

إنَّ القرآن الذي له ظاهرٌ أنيق وباطن عميق كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) هو نص غزيرٌ جداً مشحونٌ بالمعارف والحقائق إلى الحد الذي كان لكل آية فيه سبعة أوجه من التفسير كما مرّ علينا، ولكل آية ظهرٌ وبطن، ولكل آية تنزيلٌ وتأويل، ولو فُهم النص على ظاهره فقط أي بحسب ما يقتضيه الظاهر لما كان للنص هذا التألق الذي لم يتقادم بتقادم الأزمان ولكان مصيره الاندثار كما اندثر غيره من النصوص.

إنَّ الآيات الكريمة التي نزلت تخاطب أقواماً في زمن التنزيل هي أيضاً تخاطب أقواماً آخرين في زمن التأويل، والآية لا تموت بموت القوم الذين نزلت فيهم تلك الآية، ولهذا نجد النص القرآني يتجدد بتجدد الأزمان وتتعدد مستويات تفسيرهِ وفهمه وتأويله بتعدد الأمم والحضارات ويتلاءم مع جميع الشعوب رغم تباين الثقافات، ومن هنا تأتي أهمية التأويل التي تحفظ حياة النص القرآني من الموت التاريخي ليكون نصاً معرفياً وليس نصاً تاريخياً وإن كان له إطارٌ تاريخي في مرحلة معينة.

في هذا البحث نريد أن نسلّط الضوء على بُعدي التنزيل والتأويل من خلال إيراد بعض الشواهد من النص القرآني وفق مرويات الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، وقبل أن ندخل في صلب البحث لابد لنا من التعريف بهذين الاصطلاحين (التنزيل، التأويل)، وقد ذُكرا في آيات القرآن وورد هذان المصطلحان في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): " عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِيهِ(عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ–كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ– وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)"[1].

لقد ذكر التنزيل كثيرا في آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"[2].

وقوله: " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[3].

وقوله: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً"[4].

والمراد بالتنزيل هو ابتداء نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله) يبلّغه القرآن الكريم من عند الله تعالى، واستمر التنزيل لمدة ثلاث وعشرين سنة[5].

وأما التأويل فإنَّه قد ذكر أيضاً في القرآن في أكثر من موضع من آيات الكتاب الكريم، منها قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا

---

[1]– كنز العمال: 11: 613.

[2]– البقرة: 4.

[3]– البقرة: 136.

[4]– الإنسان: 23.

[5]– ينظر: علوم القرآن، الدكتور عبد الله محمود شحاته، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002م: 67، وينظر: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ابو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ت311هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1414هـ: 1: 358، وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحضري ت 930هـ، دار المنهاج، جدَّة، ط1، 1419هـ: 386.

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ"[1].

وقوله تعالى: " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"[2].

والتأويل في اللغة: "هو تفسير ما يؤول إليه الشيء"[3].

وفي معنى قوله تعالى: "يوم يأتي تأويله"[4].

" أي بيانه إلى الغاية المرادة منه"[5].

وقال ابن فارس: "تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه، وذلك قوله تعالى: "هل ينظرون إلى تأويله" يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم"[6].

وأما التأويل اصطلاحاً ففيه اختلاف ومن جملة الأقوال التي ذكرت فيه:

يقول عبد الرحمن المعلمي: "أن يجعل الكلام يؤول إلى معنى لم يكن ظاهراً منه"[7].

1- آل عمران: 7.

2- يوسف: 100.

3- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو النصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م: 4: 1627.

4- الأعراف: 53.

5- عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي (ت756هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م: 1: 139.

6- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ-1979م: 1: 162.

7- رسالة في حقيقة التأويل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت: جرير بن العربي الجزائري، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هـ-2005م: 43.

ومنهم من قال أن التأويل هو المعنى الباطن لآيات القرآن الكريم[1].

وهناك من عرّف التأويل بشكل عام وهذا التعريف لا يقتصر على النص القرآني فقط وإنما يراد به تأويل جميع النصوص الأدبية والدينية بأنه الفهم المستوحى من النصوص من خلال الاعتماد على معايير معينة[2].

وأشار الشريف الجرجاني إلى أن التأويل هو ما يتعلق بالمعنى الباطن للآية فيقول في تأويل قوله تعالى: " يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ"[3].

"إن اراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً"[4].

وعند عبد القاهر الجرجاني فإنه يعني: "معنى المعنى، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي ذلك المعنى إلى معنى آخر"[5].

وأشار عبد الرحمن المعلمي إلى أن التأويل قد يكون للرؤيا أو للفعل أو للفظ فيقول: "فأما تأويل الرؤيا: فالأصل فيه أنه مصدر أوّل العابر الرؤيا تأويلاً، أي ذكرَ أنها تؤول إلى كذا كقوله تعالى: "وما نحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعالمين" ومواضع أخرى من سورة يوسف"[6].

ويقول في تأويل الفعل: "فهو توجيهه بذكر الباعث عليه والمقصود منه؛ فيتبين أنه على وفق الحكمة بعد أن كان متوهما فيه أنه مخالفٌ لها ومنه ما حكاه الله عز وجل عن الخضر: "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً" وقد يطلق على العاقبة التي يؤول اليها العقل"[7].

---

[1]– ينظر: أساس التأويل، النعمان بن حيّون التميمي المغربي (ت363هـ)، ت: عارف تامر، دار الثقافة، بيروت، ط1: 30.

[2]– ينظر: التأويل والتأويل المفرط، أمبيرتو إكو، ترجمة: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2009: 15.

[3]– الانعام: 95.

[4]– التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مطبعة القاهرة، القاهرة، ط1، 1938م: مادة "التأويل".

[5]– دلائل الإعجاز: 363.

[6]– رسالة في حقيقة التأويل: 43.

[7]– المصدر نفسه: 44.

ويقول في تأويل اللفظ: "فالأصل فيه أن يُحمل على معنى لم يكن ظاهراً منه، فالكلام الذي لا يظهر معناه لكثير من سامعيه يكون أن بيان معناه كذا تأويلاً ... ويطلق على نفس الحقيقة التي عُبَّر عنها باللفظ كقوله تعالى: "سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً" وصعود جبل في جهنم"[1].

وأما تأويل الرؤيا: "قول الله عز وجل حكاية عن يوسف: هذا تأويل رؤياي، فجعل نفس سجود أبويه وإخوته له هو تأويل رؤياه التي ذكرها بقوله: إني رأيتُ أحدَ عشرَ كوكباً...." [2].

هذا فيما يخص التنزيل والتأويل والفرق بينهما، وقد يأتي التنزيل بمعنى الظاهر والتأويل بمعنى الباطن كما مرَّ علينا في حديث الباقر (عليه السلام)، ولهذا نجد أن الفِرق الضالة حاربت أمير المؤمنين (عليه السلام) بمنهجٍ يسيء فهم النص القرآني كالخوارج الذين تأولوا القرآن وفهموه بحسب أهوائهم الباطلة ورؤيتهم السقيمة وكانت النتيجة من تأولهم للنص القرآني أنهم حكموا بكفر علي (عليه السلام) ووجوب قتالهِ !!

ولقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن القتال في الإسلام يدور في فلكين، الفلك الأول هو فلك التنزيل، والفلك الثاني هو فلك التأويل، ومن خلال هذا الحديث تتضح المسألة.

" عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِيهِ(عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): "إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ-كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ- وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)"[3].

في هذا الحديث النبوي تتضح صبغة القتال وتتضح مقاصدهِ، فقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لأجل التنزيل فهو قد قاتل المشركين وأهل الكتاب في عهد نزول القرآن فكانت حروبه حروباً خارجية ضد الأغيار والمراد بالأغيار هم غير المسلمين.

أما الحروب التي خاضها أمير المؤمنين (عليه السلام) فهي حروب داخلية داخل جسد الإمة الاسلامية، فأصحاب الجمل وأصحاب معاوية والخوارج كلهم يدعون الإسلام ويحتجون بالقرآن، ولابّد من الإشارة إلى أن الحروب التي قادها أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام رسول الله (صلى

---

[1]- المصدر نفسه: 45.

[2]- المصدر نفسه: 43.

[3]- كنز العمال: 11: 613.

الله عليه وآله) كانت حروب تنزيل وليست حروب تأويل، فحروب التأويل بدأت بعد شهادة النبي (صلى الله عليه وآله).

بعد هذا الإيضاح ننتقل الى مرويات الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الشأن لنتدبر النصوص القرآنية في بُعديها التنزيلي والتأويلي.

" عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: أَمَّا قَوْلُهُ: أَفَكُلَّمَا جاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوىٰ أَنْفُسُكُمُ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: "ذَلِكَ مِثْلُ مُوسَى وَالرُّسُلِ مِنْ بَعْدِهِ وَعِيسَى (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)،ضَرَبَ مَثَلاً لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَقَالَ اللَّهُ لَهُمْ: فَإِنْ جَاءَكُمْ مُحَمَّدٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ بِمُوَالاَةِ عَلِيٍّ اسْتَكْبَرْتُمْ؛ فَفَرِيقاً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ كَذَّبْتُمْ، وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ، فَذَلِكَ تَفْسِيرُهَا فِي الْبَاطِنِ"[1].

لو رجعنا الى النص الكامل للآية لنتأمل سياقها لوجدناها تتكلم عن بني إسرائيل وكيف انهم قتلوا أنبياءهم واستكبروا وكذبوا الرسول، وكانوا يأخذون من الدين ما يوافق أهواءهم ويذرون ما يخالفها، قال تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ"[2].

إنَّ هذه الآية المباركة تخاطب اليهود خطاباً مباشراً، فالضمائر الواردة فيها تثبت ذلك، وهذا الخطاب جاء في القرآن الكريم في مرحلة التنزيل أي أيام نزول القرآن في مرحلته المدنية، وجاءت الآية في سياق الاحتجاج على اليهود الذين سكنوا المدينة المنورة وجاوروا الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمين فيها.

إنّ ظاهر النص القرآني في هذهِ الآية في مرحلة التنزيل هو بمثابة رسالة شديدة لليهود وتوبيخٍ لهم على ما فعلوه مع أنبيائهم ورسلهم وتصف فساد معتقداتهم الى الدرجة التي يطرحون ما لا يوافق أهواءهم جانباً وكأنه ليس من الله تعالى، وبما أن القرآن يجري كما تجري الشمس والقمر، وبما أن القرآن لا يموت بموت الأقوام الذين نزلت فيهم الآيات الكريمة، فإنَّ القرآن يجري على اللاحقين كما جرى على السابقين، ولذلك فإنَّ تأويل الآية الكريمة هي فيمن استكبر على ولاية

---

[1]– الكافي: 1: 346.

[2]– البقرة: 87.

أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفيمن قتل الأئمة من آل محمد (عليهم السلام) كما قتل اليهود الأنبياء من قبل.

نلاحظ ان النص القرآني فيه من الاتساع ما يجعل الزمان بماضيه وحاضره ومستقبله مختزلاً في حناياه المعرفية، فلو كانت هذهِ الآية تخاطب اليهود الذين كانوا في المدينة فقط ولا تخاطب غيرهم وليس فيها بعدٌ تأويلي فإنها تصبح غير نافعة للأمة الاسلامية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأن القوم الذين نزلت فيهم هذه الآية ماتوا وأفنتهم الأيام، ولهذا نجد الإمام الباقر (عليه السلام) يؤكد على استمرار حياة النص القرآني وأنه لا يموت بموت القوم الذين نزل فيهم النص.

في الحديث الشريف الذي روي عن الباقر (عليه السلام) هناك ايضاً بعض الإشارات المهمة وهي:

أولاً: نلاحظ أن قوله تعالى: "جاءكم رسول" في معناه التنزيلي يُراد منه موسى وعيسى وأنبياء بني إسرائيل (عليهم السلام) بما أن الخطاب موجه الى اليهود بالدرجة الاولى.

أما في مرحلة التأويل أصبح المراد بقوله تعالى: "جاءكم رسول" محمد (صلى الله عليه وآله).

ثانياً: في قوله تعالى: "استكبرتم" فإن اليهود كانوا دائماً ما يرفضون وصايا نبي الله موسى (عليه السلام) حتى وصل بهم الأمر ان تكون قلوبهم أشد قسوة من الحجارة فرفع الله فوق رؤوسهم جبل الطور ليقبلوا دينه تخويفاً ورهبةً، فقال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ"[1].

وكذلك هذهِ الأمة لما أمرها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تتولى علياً من بعده استكبرت وعصت أمر رسولها، ولم يبقَ على البيعة التي أخذها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير لعلي (عليه السلام) إلا القليل.

---

[1]– البقرة: 93.

ثالثاً: إنَّ اليهود كانوا يقتلون الانبياء (عليهم السلام) ويكذبون برسالاتهم في قوله تعالى: "فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ" وهذا هو المعنى التنزيلي لنص الآية الكريمة، اما المعنى التأويلي لها فهو يجري على هذهِ الأمة وما ألحقته من ظلم بأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وما تعرّض له أهل البيت (عليهم السلام) بعد النبي من قتل وظلم وإقصاء، إذ نجد أن الأئمة (عليهم السلام) لم يمتْ منهم أحد إلا مقتولاً إما بالسيف وإما بالسم من علي (عليه السلام) إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

فالآية الكريمة تخاطب في بُعدها التأويلي هذهِ الامة وكل من ظلم أهل البيت (عليهم السلام) كما خاطب معناها التنزيلي اليهود الذين ظلموا الانبياء (عليهم السلام) وقتلوهم وكذبوهم.

وإلى آية اخرى من كتاب الله العزيز يفتح لنا من خلالها الإمام الباقر (عليه السلام) نافذة إلى التأويل بأبعادهِ الواسعة وآفاقه الرحبة.

" عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: " وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا " قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقا، يقول: لأشربنا قلوبهم الايمان، والطريقة هي الايمان بولاية علي والأوصياء"[1].

إنَّ هذه الآية الكريمة هي من الآيات التي تكلَّمت عن الجن الذين سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقرأ القرآن في صلاتهِ، وهذهِ الآية هي من آيات سورة الجن المباركة، إذ أن هذه السورة احتوت على تفاصيل في غاية الأهمية لتخبرنا عن أحوال الجن وموقفهم من دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فنجد أن الجن قد انقسموا الى فريقين فريق آمن بهذه الدعوة وذهب لينذر قومه ويدعوهم الى الاسلام وهو ما يسمى بالجن المؤمن، وفريق كفر بالدعوة وكذب برسول الله (صلى الله عليه وآله) كما كذب به المشركون وأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

---

[1]– الكافي: 1: 171.

إنَّ هذه الآية الكريمة في بُعدها التأويلي لا تقتصر على الجن فقط، فالمعنى المذكور في الرواية الشريفة على لسان الباقر (عليه السلام) يفيد العموم، فإنَّ الانس والجن لو استقاموا على الطريقة المذكورة لكانوا مهتدين مرضيين عند الله تعالى.

ونلاحظ أنّ في الآية لفظة (استقاموا) وهي مما يذكرنا بقوله تعالى: " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"[1] وقد كثرت الروايات الشريفة التي فسرت معنى الصراط المستقيم بأنه علي أمير المؤمنين والائمة (عليهم السلام)[2].

فالاستقامة في بُعدها التأويلي هي الولاية، وثواب قبول الولاية والتسليم لأمرِ الله تعالى هو أن تكون قلوبهم مفعمة بالإيمان وبتعبير القرآن الكريم: "لأسقيناهم ماءً غدقاً"، فلو أنَّ المسلم لم يقبل الولاية فإنه عند اهل البيت (عليهم السلام) غير مستقيم على الطريقة التي أرادها الله سبحانه وأمر بها.

إنَّ هذه الآية في بُعدها التنزيلي وإطارها الزماني تخص الجن الذين استمعوا الى آيات القرآن الكريم من لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أثناء صلاتهِ، أما البُعد الأوسع لها فهو البُعد التأويلي فاتسعت لتشمل الجن والإنس، ثم بعد ذلك جرت عليهم الى يوم القيامة والمعيار فيها هو قبول الطريقة أو ردّها، فمن استقام على الطريقة هُدي الى سبيل الله ومن لم يستقم ضل سواء السبيل.

ولو فهمنا الآية الكريمة بحسب إطارها التنزيلي والموقف الذي نزلت فيه والزمان الذي نزلت فيه والذين نزلت فيهم من الجن فإنَّ الآية تكون قد انتهت دور الخطاب الإلهي فيها ولم تعد تنفع في الأزمنة التي تلت زمن نزول الآية، ولذلك نجد أن الباقر (عليه السلام) قد أفصح عن أبعادها المعرفية من خلال بيان وجه التأويل فيها، وبهذا فإنَّ الآية تجري على الأحياء من الجن والإنس كما جرت على الأموات.

وفي الآيات الأولى من سورة المدثر، يقول تعالى شأنه: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ "[3].

---

[1]– الفاتحة: 6.

[2]– ينظر: البرهان في تفسير القران :34:1

[3]– المدثر: 1–2.

" عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الْمُنَخَّلِ بْنِ جَمِيلٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ: "يَعْنِي بِذَلِكَ مُحَمَّداً(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ قِيَامَهُ فِي الرَّجْعَةِ يُنْذِرُ فِيهَا.

قَوْلُهُ: إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيراً يَعْنِي مُحَمَّداً(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نَذِيراً لِلْبَشَرِ فِي الرَّجْعَةِ" وَفِي قَوْلِهِ:(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ كَافَّةً لِلنَّاسِ) فِي الرَّجْعَةِ[1].

إنَّ هذه الآيات لو فُهمت في أيام نزولها فإنها تخص حال النبي (صلى الله عليه وآله) في بداية نزول الوحي عندما كان في مكة المكرمة، ولكنها في هذهِ الرواية الشريفة تتعدى ذلك بكثير إذ تحدثنا الرواية عن زمان الرجعة عندما يرجع فيها النبي والائمة (صلوات الله عليهم) إلى الحياة من جديد لإقامة الدولة الإلهية التي قوامها العدل والإنصاف، وعقيدة الرجعة هي من الثوابت التي نصت عليها الآيات القرآنية والروايات الشريفة المروية عن أئمة الهدى (صلوات الله عليهم) وليس مقام بحثنا في إثبات العقائد والخوض في المسائل الكلامية والجزئيات الاعتقادية، ولذلك سوف نقتصر على دراسة النص بحسب ما يتوافق مع عنوان بحثنا فقط.

كان القيام المذكور في الآية الكريمة بالفعل (قم) في زمان النزول في بداية الدعوة الشريفة يُراد به النهوض الى إنذار المشركين في مكة وقبائل العرب بما ان عصر نزول النص ابتدأ في مكة ولذلك قال تعالى: " وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا"[2].

أما القيام المذكور في الآية نفسها وفق معناه التأويلي هي الرجوع الى الحياة الدنيا بعد سنوات طويلة من وفاته (صلى الله عليه وآله) ليعود في عصر الرجعة ذلك العصر المهيب الذي تنكشف فيه جميع الحقائق ويدخل فيه الناس جميعاً في طاعة الله تعالى وينتصر دين الإسلام ويظهر على بقية الأديان ليكون الدين الأوحد ويكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رأس تلك الدولة الإلهية التي وعده الله تعالى بها.

أما في قوله (عليه السلام): "نذيراً للبشر في الرجعة" فإنَّه (صلى الله عليه وآله) قد كان نذيراً أيام نزول النص الى أن انقضت أيام حياته الشريفة وهذا هو المعنى الظاهر من الآية بحسب

---

[1]– مختصر بصائر الدرجات: 26.

[2]– الأنعام: 92.

بعدها التنزيلي، اما في بُعدها التأويلي فإن المراد أن يعود النبي (صلى الله عليه وآله) لينذر الناس بعد موته في عصر الرجعة ولينتشر دين الإسلام بين جميع الأمم.

وهذهِ الآية الكريمة كالآية التي سبق وإن ذكرناها لو فهمت وفق معناها التنزيلي من دون البُعد التأويلي فإنَّها لا تتسع لهذا الكم الكبير والعميق من المعاني والأسرار القرآنية، ولكانت هذهِ الآية قد انتهى أثر الخطاب فيها وتلاشى بمجرد انتقال النبي (صلى الله عليه وآله) الى جوار ربه سبحانه.

وفي قوله تعالى: " فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ "[1].

" رَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: "قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، قَالَ: اَلنَّاقُورُ هُوَ النِّدَاءُ مِنَ السَّمَاءِ، أَلاَ إِنَّ وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، يُنَادِي بِهِ جَبْرَئِيلُ فِي ثَلاَثِ سَاعَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَذَلِكَ يَوْمُ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ، يَعْنِي بِالْكَافِرِينَ الْمُرْجِئَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَبِوَلاَيَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الطَّالِبِ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)" [2].

لقد ذكر بعض أصحاب التفاسير ومنهم ابن كثير أن هذهِ الآيات تخص النفخ في الصور عندما يبعث الله تعالى الموتى ليحاسبهم يوم القيامة[3].

وهذا المعنى لا ننفيه اطلاقاً فقد ورد هذا المعنى على لسان رسول الله والائمة (صلوات الله عليهم) ولكن هذا المعنى يشتمل على البُعد التنزيلي للآية الكريمة، اما البُعد الذي أوضحته لنا الرواية الشريفة على لسان مولانا الباقر (عليه السلام) فهو البُعد التأويلي الذي تتسع من خلالهِ الآية لتشمل يوم الصيحة التي تسبق ظهور الإمام المهدي من آل محمد (عليهم السلام).

ونرى أن معنى الكافرين قد اتسع ايضاً في الرواية الشريفة وذلك من خلال التعبير عنهم بالمرجئة الذين كفروا بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) فالكافرون بالمعنى التنزيلي هم من كفروا بالله

---

[1]– المدثر: 8–10.

[2]– تأويل الآيات: 2: 732.

[3]– تفسير القرآن العظيم: 1936.

ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأنكروا الدعوة وكذبوا بآيات القرآن الكريم وجحدوا ما جاء فيها، أما الكافرون في البُعد التأويلي فهم الذين كفروا بالولاية ونصبوا العداوة لأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه).

وفي قوله تعالى: " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ "[1].

" عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن حماد بن عيسى عن عبد المؤمن، عن سالم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله " قال السابق بالخيرات: الامام، والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الامام"[2].

نلاحظ ترتيب الفئات التي جاءت مذكورةً بالحديث وهي ثلاث فئات جاء ترتيبها من الكثير إلى القليل، فالفئة الأولى هي فئة الظالمين لأنفسهم وهم الأكثر عدداً، وأكثر الناس هم الذين لا يعرفون الإمام الذي نصبه الله تعالى حجة على خلقه، والمراد بالمعرفة هنا ليست معرفة اسم الإمام أو سيرته التاريخية وإنما يُراد منها معرفة منزلته وحقه الذي أوجبه الله تعالى على الأمة، وهذا من قبيل المعرفة المذكورة في هذا الحديث الشريف، "من زار الحسين عارفاً بحقه يوم عاشوراء كان كمن زار الله عز وجل في عرشه"[3].

فالمعرفة لابد أن تتصف بالعمق والتدبر، ولا نستطيع أن نعد من يمتلك بعض المعلومات السطحية عارفاً، والفئة الثانية هم العارفون بالإمام وهم أقل عدداً من الفئة السابقة الذكر، وهم أهل الحق الذين عرفوا حق الإمام (عليه السلام) ذلك الحق الذي فرضه الله له في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه (صلى الله عليه وآله)، والفئة الثالثة هم السابقون بالخيرات وهم الأئمة من ال محمد الذين ورثوا هذا الفيض المعرفي الغيبي، وهذهِ الآية الكريمة في مجال التأويل تجري الآن وإلى يوم

---

[1]– فاطر: 32.

[2]– الكافي: 1: 123.

[3]– ثواب الأعمال: 85.

القيامة كما جرت في الأزمان السابقة ولا يقتصر تأويلها على عصر نزولها فقط، ففي هذهِ الايام نجد الناس تنقسم الى هذهِ الفئات الثلاث التي لا رابع لها.

الفصل الثالث

الفهم

❖ المبحث الأول: البُعد الغيبي في تفسير القرآن.

❖ المبحث الثاني: تفسير القرآن بالقرائن المتعددة والاحتجاج به

لقد حاول كثير من المفسرين عبر العصور من يوم نزول القرآن وإلى يومنا هذا أن يقدَّموا فهمهم لهذا النص المحكم والقول الفصل من خلال الاعتماد على جملة من الأدوات التي ساعدتهم في تقديم فهم مقبول ومقنع لمقاصد الكتاب العزيز، ولهذا السبب نجدهم يحشدون في تفاسيرهم عدة قرائن منها ما هو عقلي ومنها ما هو نقلي ليتضافر العقل مع النقل في تقديم الفهم الأنسب لآيات القرآن الكريم، ولقد كان المفسرون من جميع مذاهب الأمة الإسلامية يحاولون أن يقدموا الفهم المعقول للنص القرآني من خلال الإنسجام بين الفهم الذي يقدمه كاتب التفسير وبين ثوابت العقيدة الإسلامية التي نجدها منتشرة في آيات القران الكريم من أوله إلى آخره، وهذا الفهم المعقول أو الذي يلقى المقبولية الفكرية في أوساط الامة الإسلامية لا ننفي أنه قد يحتوي على الكثير من الإخفاقات المعرفية و قلة الدقة او انعدامها في بعض الأحيان في إصابة مقاصد النص القرآني، وهذا الأمر لا نستطيع أن نعده منقصة نلحقها بهم لأنهم بشر وجهودهم التفسيرية جهود بشرية محدودة مهما اتسعت دائرة المعرفة فيها، ولهذا فإننا عند مطالعة كتب التفسير نجد التنوع في الأساليب التفسيرية والتعدد في طرائق الاستدلال، فغالبا ما يتقدم فهم النص وفق معاني المعجم اللغوي على بقية مستويات التفسير، ثم بعد ذلك يأتي تفسيره ببعض الأحاديث النبوية الشريفة التي وضحت مقاصده ثم بعد ذلك أقوال الصحابة وكبار التابعين الذين اشتهروا بالتفسير كابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والحسن البصري.

في هذا الفصل الذي نسلَّط فيهِ الضوء على منظومة فهم النص عند مولانا الباقر (عليه السلام) حاولنا استقراء النصوص المروية عنه في كتب الحديث لنستخرج القرائن العقلية والاستدلالات الموضوعية التي ساقها الإمام (عليه السلام) وهو يفسَّر للامة القرآن الكريم ويبيَّن مقاصده ويقدَّم الفهم السليم الذي لا يشوبه باطل ولا تميل به الأهواء والاجتهادات الشخصية.

ولابد لنا قبل أن ندخل في صلب هذا البحث العميق في فهم المقاصد والقرائن المعضدة لهذا الفهم لابد لنا أن نذكر أن المصدر الذي يستقي منه الإمام (عليه السلام) لم يكن مقتصراً على الرواية عن آبائهِ الكرام وجده (صلى الله عليه وآله) أو أنه يعتمد على بعض الحوادث التأريخية أو الدلالات اللغوية المعجمية في فهم النص؛ وإنما كان للغيب المساحة الأوسع في فهم النص الكريم، فالأئمة محدّثون من الله عز وجل وناطقون عنه وليس بينهم وبين الله تعالى من حجاب وقد ذكرنا كل هذه المعاني الشريفة في التمهيد ولا حاجة إلى ذكرها في هذا المقام طلباً للإيجاز والإجمال.

إنَّ الكثير من الروايات التفسيرية المروية عن أئمة الهدى (صلوات الله عليهم) تتضمن جوانب غيبية لا يستطيع أن يحيط العقل بها علماً، ولذلك عبَّر الائمة (صلوات الله عليهم) عن القلوب فوصفوها بأنها أوعية وخير القلوب أوعاها، فكل وعاء يتَّسع وفق قدره وإمكانية استيعابه للكم المعرفي الذي احتوته مروياتهم الشريفة[1].

ولقد نبَّه الائمة (عليهم السلام) إلى ضرورة إتقان الرواية وضرورة فهم مقاصدها حتى أن منزلة اصحابهم وشيعتهم تتباين من رجل الى آخر بحسب إتقانه لعلمي الرواية والدراية، فقد قال مولانا أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): "اعرفوا منازل شيعتنا عندنا على قدر روايتهم عنا وفهمهم منَّا"[2].

إن أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) فيها المجمل وفيها المفصل فنلاحظ أن بعض الجزئيات التي قد تُذكر في رواية معينة نجد تفاصيلها في رواية أخرى يمكن أن تكون بمثابة شرح للرواية الأولى، فالتفصيل في رواية ما يمكن أن نعدَّه شرحاً لإجمالٍ في رواية أخرى، ولهذا نجد الأئمة (عليهم السلام) قد أولوا عملية الفهم اهتماماً كبيراً، وهذا الفهم لا يمكن أن يأتي صحيحاً كما أراده الائمة (عليهم السلام) من دون عملية استقراء واسعة لمروياتهم الشريفة فلا يمكن أن نأخذ حديثاً واحداً أو بعض الأحاديث من دون الرجوع إلى بقية الأحاديث التي لا تكتمل الصورة إلا من خلالها.

---

[1]– نهج البلاغة: 339.

[2]– الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، ت: علي أكبر الغفاري، منشورات مكتبة الصدوق، طهران، ط1، 1411هـ: 27.

المبحث الأول

البُعد الغيبي في تفسير القرآن

مما لا شكَّ فيه أنَّ القرآن الكريم قد حكى لنا أخبار الأمم السابقة وما جرى عليهم وقصّ علينا أخبارهم تارة بالإجمال وتارة أخرى بالتفصيل، ونحن أبناء هذا الزمان لا نعرف عن تلك الأمم الضاربة في القدم وعن أخبارها شيئاً إلا من خلال ما جاء في القرآن، بالإضافة إلى ان القرآن قد وردت فيه أنباء تخص المستقبل وما سيحدَّث فيهِ، وفي كلتا الحالتين فإنَّه يحدثنا عن الغيب الذي لا نعلم عنه شيئاً، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في الكثير من الآيات ومنها:

قوله تعالى: " تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ"[1].

وقوله تعالى: "وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنْ الشَّاهِدِينَ"[2].

وقوله تعالى: " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ"[3].

والآيات في هذا الشأن كثيرة، ونجد أن القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى باستمرار وفي أكثر من سورة، وغالباً ما نجد هذا الخطاب يتكرر عند نهاية كل قصة مفصلية في تاريخ الرسالات السماوية كقصة نوح (عليه السلام) كما مرّ علينا في سورة هود، وكذلك في قصة مريم التي ذكرها الله تعالى مفصلةً في سورة آل عمران، وفي قصة موسى لما أوحى إليه الله تعالى وكلَّمه في جبل الطور وقد وردت تفاصيل القصة في سورة القصص المباركة، وهذا الذي نجده أيضاً في سورة يوسف التي قصَّت أخبار يوسف النبي (عليه السلام) وما كان بينه وبين إخوته إلى ان توفَّاه الله تعالى بعد أن أصبح ممن مكَّن الله لهم في الأرض وآتاه الله الملك والحكمة، لنجد بعد كل هذهِ التفاصيل أن

---

[1]– هود: 49.

[2]– القصص: 44.

[3]– آل عمران: 44.

المعنى المشار إليه يتكرر أيضاً في نهاية قصة يوسف في قوله تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ"[1].

لابدَّ من بيان أمر هو في غاية الأهمية وقد أشارت إليه هذه الآيات الكريمة وهو أن الخطاب المباشر في ظاهر الآيات هو للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)؛ ولكن الخطاب بالدرجة الاولى موجَّه إلى الأمة الإسلامية، وقد ذكر الأئمة (صلوات الله عليهم) في قواعد التفسير عندهم وقد مرَّ علينا هذا الشيء فيا مضى من البحث أن الله تعالى يخاطب نبيه (صلى الله عليه وآله) والمراد بهذا الخطاب عامة المسلمين.

إنَّ مرويات الإمام محمد بن علي الباقر (صلوات الله عليهما) في تفسير القرآن قد تضمنت الكثير من المعاني الغيبية التي لم تذكر تفاصيلها في آيات الكتاب العزيز، ولم ترد عن طريق أهل الحديث من الصحابة والتابعين وأصحاب المصنَّفات الحديثية القديمة والحديثة، ومن هنا نستطيع أن نطرح هذا السؤال: من أين جاء الإمام (عليه السلام) بكل تلك التفاصيل ولم يكن شاهداً عليها في أرض الواقع، ولم يحدثه بها أحد؟ حتى أن أتباع تلك الرسل من الأمم السابقة كاليهود والنصارى لا يعلمون شيئاً عن تلك التفاصيل.

إن علم الإمام الباقر (عليه السلام) وكذلك علم جميع الأئمة هو علم اختصهم الله به دون غيرهم وأطلعهم على غيبه الى الدرجة التي لا يكون فيها الماضي البعيد حائلا عن معرفة ما حدث، ولا المستقبل عما سيحدث، ولهذا نجد أن الروايات التي تحدثت عن علمهم كثيرة جداً، و عميقة في نفس الوقت، ومن هذهِ الروايات:

"عن سيف التمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: " لو كنتُ بين الخضر وموسى لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر (عليهما السلام) أُعطيا علم ما كان ورثناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وراثةً"[2].

---

[1]– يوسف: 102.

[2]– الكافي: 1: 261.

ولقد ذكر الشيخ الكليني (رحمه الله) في كتابه الكافي الكثير من الروايات في هذا الشأن وعقد لها أبواباً كاملة اخترنا منها الحديث المتقدَّم الذكر على سبيل المثال لا الحصر.

ومن الجوانب الغيبية التي أخبرنا عنها الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير القرآن هذه الرواية الشريفة التي تضمنت أحوال أصحاب القائم من آل محمد (صلوات الله عليهم) عند خروجه في مكة.

" الْكَابُلِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- فِي حَدِيثٍ يَذْكُرُ فِيهِ خُرُوجَ الْقَائِمِ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)- قَالَ: "ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى الْمَقَامِ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيَنْشُدُ اللَّهَ حَقَّهُ".

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): هُوَ وَاللَّهِ اَلْمُضْطَرُّ فِي قَوْلِهِ: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفٰاءَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُبَايِعُهُ جَبْرَئِيلُ، ثُمَّ الثَّلاَثُمِائَةِ وَالثَّلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً؛ فَمَنْ كَانَ ابْتُلِيَ بِالْمَسِيرِ وَافَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُبْتَلَ بِالْمَسِيرِ فُقِدَ عَنْ فِرَاشِهِ، وَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ): هُمُ الْمَفْقُودُونَ عَنْ فُرُشِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰاتِ أَيْنَ مٰا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً -قَالَ-: اَلْخَيْرَاتُ الْوَلاَيَةُ"[1].

نلاحظ أنَّ الآية الكريمة التي تحدثت عن المضطر الذي سيجعله الله تعالى خليفة في الأرض ويمكن له فيها لم تذكر تلك التفاصيل الغيبية التي ستحدث في أيام ظهوره الشريف، ولم تذكر الكيفية التي سيجتمع من خلالها أصحابه تحت لوائهِ المؤيد بنصر الله تعالى، وكأن الإمام (عليه السلام) يخبرنا عن كل صغيرة وكبيرة ستحدث في ذلك اليوم المبارك الذي يمثل انعطافةً في تاريخ البشرية وذلك بقيام دولة العدل الإلهي على يد حجة الله الأعظم الإمام القائم من آل محمد (صلوات الله وسلامه عليه).

فأول جزئية ذكرها الإمام هي أن أول من يبايعه جبرئيل (عليه السلام) وهو أمين الله على وحيه وفي ذلك دلالة عظيمة تذكرنا ببيعة جبرئيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنَّه كان جندياً من جنوده في كل معاركه التي خاضها، والأمر نفسه مع جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) المؤيد بجبرئيل والمنصور بميكائيل، والروايات في هذا المعنى كثيرة جداً لا يتسع المقام لذكرها، وشهرتها قد جابت الآفاق وهي من ثوابت ديننا، ثم يذكر الإمام (عليه السلام) كيفية التحاق الثلاثمائة

[1]- البرهان في تفسير القرآن: 2: 18.

والثلاثة عشر وهو خاصة أصحاب القائم (عليه السلام) به وهذهِ كلها من الغيب الذي لا يعلمه الا الله عز وجل وأمناء الله على وحيه وخزنة علمه وهم الائمة (صلوات الله عليهم)، وفي هذا الحديث الشريف تتجلى أبهى صور العلم الإلهي الذي استودعه الله سبحانه عند الأئمة من آل محمد (صلوات الله عليهم).

وإلى حديث آخر فيه شيءٌ من التقارب المعرفي الغيبي مع الحديث المتقدم الذكر، حيث أن العدد المميَّز (الثلاثمائة وثلاثة عشر) يتكرر بطريقة تلفت الأنظار مع مراعاة المناسبة بين المقامين اللذين كان أحدهما في الماضي والآخر سيكون في المستقبل، فأما الذي مضى فهو ما قصَّهُ الله تعالى من قصة طالوت لما برزوا لجالوت وجنوده، فيقول الإمام (عليه السلام) في نص هذه الرواية:

" عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، فِي قَوْلِ اللَّهِ: إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي: "فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ ثَلاَثَمِائَةٍ وَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، مِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَفَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ، فَلَمَّا بَرَزُوا؛ قَالَ الَّذِينَ اغْتَرَفُوا: لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَجُنُودِهِ، وَقَالَ الَّذِينَ لَمْ يَغْتَرِفُوا: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"[1].

في القصة المعروفة التي ذكرها الله تعالى في سورة البقرة التي تحكي قصة طالوت لم تذكر الآيات كم عدد الذين اغترفوا غرفة واحدة فقط؛ لكننا نجد في هذهِ الرواية إمامنا الباقر (عليه السلام) يذكر العدد وكأنَّه كان حاضراً في ذلك اليوم، وهذا من الغيب المحض الذي لا يستطيع أي إنسان أن يتكلَّم فيه أو أن يتكهن عنه وهو غير قابل للاستنتاج أو الاجتهاد، وهذا ما لا نجده عند أي إنسان غير المعصوم (عليه السلام) فهو الشخص الوحيد الذي يخبر عن الغيب وينطق عن الله تعالى بما علَّمه الله وبما أطلعه عليه من غيبهِ.

وإذا تأملنا هذا العدد المميَّز (313) نراه حاضراً وبقوة في الماضي كما في قصة طالوت، وسيكون حاضراً بدرجة أقوى وأشد في المستقبل مع الإمام الحجة (صلوات الله عليه)، وهذا مما يدل على أن أنصار الحق في كل الأزمنة هم صفوة الله من خلقه وهم القلَّة دائماً، وهذا العدد نجده أيضاً في يوم معركة بدر إذ كان انصار النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً،

[1]– البرهان في تفسير القرآن: 2: 144.

مما يدل على قدسية هذا العدد، وأنَّه رمز لاكتمال العدة التي إن اكتملت قامت دولة الحق وانتصر الحق على الباطل على يد الإمام الحجة (عليه السلام) كما انتصرت دولة الحق على يد طالوت في الزمن الأول، وكما انتصرت دولة الإسلام بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المشركين في عصر صدر الإسلام، فكذلك ستنتصر دولة الحق في آخر الزمان بهذهِ العدة الموصوفة في حديث الباقر (عليه السلام) تحت لواء الإمام المهدي من ولد فاطمة (عليها السلام).

ومن الجوانب الغيبية التي أشار إليها الإمام الباقر (عليه السلام) والتي تتحدَّث عن طبيعة التكوين عند النساء وما يخص أحكام الإيلاء والطلاق والعدة من تحديد المدة الزمنية في كل حالةٍ من الحالتين – حالة الإيلاء وحالة الطلاق– نجد كل هذا التفصيل مذكوراً في هذهِ الرواية الشريفة:

" عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَيْفَ صَارَتْ عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلاَثَ حِيَضٍ أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ، وَصَارَتْ عِدَّةُ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً؟ فَقَالَ: "أَمَّا عِدَّةُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلاَثَةُ قُرُوءٍ، فَلِأَجْلِ اسْتِبْرَاءِ الرَّحِمِ مِنَ الْوَلَدِ، وَأَمَّا عِدَّةُ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَطَ لِلنِّسَاءِ شَرْطاً وَشَرَطَ عَلَيْهِنَّ شَرْطاً؛ فَلَمْ يُحَابِهِنَّ فِيمَا شَرَطَ لَهُنَّ، وَلَمْ يَجُرْ فِيمَا شَرَطَ عَلَيْهِنَّ؛ أَمَّا مَا شَرَطَ لَهُنَّ فَفِي الْإِيلاَءِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ؛ إِذْ يَقُولُ: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَلَنْ يُجَوِّزَ لِأَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِي الْإِيلاَءِ، لِعِلْمِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهَا غَايَةُ صَبْرِ الْمَرْأَةِ عَنِ الرَّجُلِ، واما ما شرط عليهن، فأمرها ان تعتد اذا مات زوجها اربعه اشهر وعشرا، فاخذ له منها عند موته ما اخذ لها منه في حياته"[1]، في هذه الرواية الشريفة نجد الإمام عليه السلام يحدثنا عن عدل الله في شريعته التي شرعها للنساء، وفي تشريعاته المقدسة تناسب كامل مع طبيعة التكوين عند النساء، فالتشريع الإلهي لا يأتي مخالفا للتكوين، فطبيعة تكوين المرأة لا تستطيع من خلالها أن تكون مدة الإيلاء أكثر من أربعة أشهر، فلا يحق للزوج أن يهجر زوجه أكثر من هذه المدة، و هذا مما اشترطه الله للنساء و فرضه لهن، وأما ما فرضه عليهن فإنه عز وجل قد فرض عليهن العدة في حال وفاة الزوج، للتحقق من ثبوت الحمل أو عدمه، فلا يحدث هنالك اختلاط في الأنساب، وهذه الرواية من روائع الروايات التي تحدثنا عن عمق التشريع في الإسلام وأن هكذا

[1]– تفسير العياشي: 1: 122.

تشريع لا يمكن أن يأتي إلا من الله عز وجل ولا يمكن أن يكون مصدره مصدرا بشريا، فالمشرع وهو الخالق عز وجل أعلم بما خلق وبما يصلح شأن خلقه.

ومن شواهد الغيب التي حدَّثنا عنها الإمام الباقر (عليه السلام) ما ورد من جزئيات وتفاصيل تخص قصة التابوت– تابوت العهد– الذي كان دلالة على ملك طالوت الذي اصطفاه الله عز وجل ليكون قائداً لجيوش بني إسرائيل لفتح بلاد فلسطين وما حولها، وقد وردت الإشارة إلى قصة تابوت العهد في سورة البقرة المباركة، وهذه القصة ذُكِرَت بشيء من الإيجاز حيث لم تتطرق الآيات الكريمة إلى الجزئيات التي كانت من تفاصيل المشهد آنذاك يوم وقوع هذا الحدث المفصلي في تاريخ بني إسرائيل والذي على أثره تحقق انتصارهم على أعدائهم المشركين من سكان فلسطين وبادية الشام.

إنَّ سياق الآيات الكريمة في سورة البقرة المباركة ذكر أن تابوت العهد فيه بقية مما ترك آل موسى وهارون، وأن هذا التابوت حملته الملائكة، والسؤال هنا كيف كانت هيئة الملائكة أو بعبارة أخرى في أي صورة تجسدوا؟

نجد الجواب في هذه الرواية الشريفة:

وَعَنْهُ: بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاٰئِكَةُ – قَالَ: كَانَتْ تَحْمِلُهُ فِي صُورَةِ الْبَقَرَةِ"[1].

يكشف لنا الإمام (عليه السلام) عن الهيئة التي تجسَّدت من خلالها الملائكة التي كانت تحمل تابوت العهد، وهذا مما يدل على أن الملائكة (عليهم السلام) لم تحمل ذلك التابوت وهي على هيئتها السماوية الملكوتية التي لا يستطيع العقل البشري الإحاطة بها؛ لأنها غريبة عن عالمنا الأرضي الذي نعيش فيه، فلا تألفها الموجودات والأعيان المتكيفة في هذا الواقع، ولذلك فإنَّ الملائكة قد حملت ذلك التابوت المقدَّس الذي احتوى على مقتنيات الأنبياء العظام (عليهم السلام)

[1]– الكافي: 8: 317.

كالنبي موسى والنبي هارون الذي كان نبياً ووصياً لموسى في آنٍ واحد، قال تعالى: " وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً"[1].

حملته وهي على صورة مألوفة في هذا العالم وهي صورة البقرة حتى لا يقع التعجب الذي يُذهل العقول البشرية عندما تنظر إلى هيئة الملائكة في صورتها السماوية الملكوتية الغيبية التي لا تحتملها العقول البشرية التي لم تعتد النظر إليها.

إنَّ الآيات الكريمة في سورة البقرة التي ذكرت لنا هذهِ القصة لم تذكر لنا الصورة التي تجسَّدت بها الملائكة، وإنما اقتصرت على الإشارة الى أن التابوت كانت تحمله الملائكة من دون ذكر هذه التفاصيل التي كشف عنها الإمام الباقر (عليه السلام)، وهذا من ملامح الجنبة الغيبية في تفسير القرآن الكريم في مرويات الباقر (عليه السلام).

وإلى رواية أخرى نجد فيها من الغيب ما لا يعلمه إلا الله عز وجل والراسخون في العلم وهم الائمة من آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم):

" الطَّبْرِسِيُّ: فِي مَعْنَى نُونٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "هُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: كُنْ مِدَاداً، فَجَمَدَ، وَكَانَ أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَلَمِ: اُكْتُبْ، فَكَتَبَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[2].

في هذهِ الرواية الرائعة كأننا نستمع إلى لسان من دخل الجنة ورأى ما فيها وعرف بدءَ خلقها، وأحاط علماً بكل الأعيان والموجودات في ذلك العالم الغيبي الذي حجبه الله عز وجل عنّا، وكانت هذهِ الرواية في تفسير أوائل سورة القلم في قوله تعالى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"[3].

إنَّ هذهِ التفاصيل التي ذُكِرَت في هذهِ الرواية الشريفة والتفاصيل المذكورة في غيرها من المرويات التي تتحدَّث عن جانب غيبي محض لا يمكن أن يحدثنا عنها مفسرٌ يتدبر القرآن بعقلهِ أو أن يفهمه وفق معاني الألفاظ والمفردات وأساليب السياق اللغوي التي ذكرت في كتب اللغة والبلاغة والأدب، فاللغة هنا لا تستطيع أن تكشف لنا خفايا الأحداث الغيبية، ولا يمكن لها أن تتنبأ بما

---

[1]– مريم: 53.

[2]– مجمع البيان: 10: 499.

[3]– القلم: 1.

سيحدث في المستقبل، أو أن تسبر أغوار النص القرآني وفق قواعد لغة العرب التي لا يمكن أن نعدها بوابة للغيب الإلهي، وإنما يأتي الغيب من علم الله عز وجل يُطلع عليه من يشاء من عبادهِ الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته وارتضاهم للقيام بأمرهِ، وجعلهم لسانه الناطق عنه، ويده المبسوطة على عباده بالرحمة والرأفة كما ورد في الكثير من مروياتنا الشريفة التي تحدثت عن مقاماتهم الغيبية ومنازلهم الرفيعة عند الله تعالى.

وإلى حديث آخر يكشف لنا الإمام (عليه السلام) عن صنم كل قبيلة اتخذته إلهاً لها وعكفت على عباده من دون الله عز وجل.

" عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ،فِي قَوْلِهِ: سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً، يَقُولُ: "بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ"، وَقَوْلُهُ: وَلاٰ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاٰ سُوٰاعاً وَلاٰ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً قَالَ: "كَانَتْ وَدٌّ صَنَماً لِكَلْبٍ، وَكَانَتْ سُوَاعٌ لِهُذَيْلٍ، وَكَانَتْ يَغُوثُ لِمُرَادٍ، وَكَانَتْ يَعُوقُ لِهَمْدَانَ، وَكَانَتْ نَسْرٌ لِحُصَيْنٍ". وَلاٰ تَزِدِ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ ضَلاٰلاً، قَالَ: "هَلاَكاً وَتَدْمِيراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبٰادَكَ وَ لاٰ يَلِدُوا إِلاّٰ فٰاجِراً كَفّٰاراً فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ"[1].

نلاحظ أن الآيات الكريمة في سورة نوح (عليه السلام) وهذهِ الرواية الشريفة تتضمن الحديث عن قوم نوح الذين أهلكهم الله تعالى بسبب كفرهم وجحودهم وسخريتهم من نوح النبي (عليه السلام)، ولابد أن نأخذ بنظر الاعتبار أن قوم نوح يفصلهم عن زمن الإمام الباقر (عليه السلام) الآلاف من السنين، فإنَّ نوحاً (عليه السلام) هو أبو البشرية الثاني، فيستحيل أن نجد راوياً أو كتاباً يحدثنا عن هذهِ التفاصيل بهذهِ الدقة العجيبة، حيث أشار الإمام (عليه السلام) إلى كل صنم من تلك الأصنام وذكر اسم القبيلة التي تعبده.

وفي رواية أخرى يحدثنا الإمام الباقر (عليه السلام) عن أصحاب الجنة الذين أهلكهم الله عز وجل وانتقم منهم، والمراد بأصحاب الجنة هم أهل اليمن إذ أن الجنة تعني في لغة العرب البستان أو الحقول الخضراء، وقد ذكر الله تعالى قصة أصحاب الجنة في سورة القلم المباركة، وذلك في قوله تعالى: " إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ"[2].

---

[1]– تفسير القمي: 2: 387.

[2]– القلم: 17.

"قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ ابْتُلُوا بِالْجُوعِ كَمَا ابْتُلِيَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وَهِيَ [الْجَنَّةُ الَّتِي] كَانَتْ فِي الدُّنْيَا وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ، يُقَالُ لَهَا الرِّضْوَانُ، عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ صَنْعَاءَ"[1].

في هذه الرواية يحدثنا الإمام (عليه السلام) عن أهل اليمن الذين أهلكهم الله نتيجة لظلمهم وكفرهم، فإنَّ الله ابتلاهم بالجوع رغم أنهم كانوا يعيشون حياة تتصف بكل مقومات الرفاهية والراحة و السعادة، وحدّد لنا الإمام (عليه السلام) موقعها بالمقدار الدقيق حيث ذكر أنها تقع على بُعد تسعة أميال من صنعاء التي هي الآن عاصمة دولة اليمن العربية.

وكذلك ذكر لنا اسم الجنة فقال أن اسمها رضوان، وهذا كلَّه من الأمور الغيبية التي انقضى ذكرها بانقضاء أيام أصحابها، ولكن الإمام الباقر (عليه السلام) كان لسانه يُفرغ عن علم الله وينطق عنه بإذنه عز وجل.

إنَّ الجنبة الغيبية التي وقفنا عندها في هذا المبحث دليل يضاف إلى قافلة الأدلة التي تثبت أن الائمة (عليهم السلام) لسان الله الناطق وحجته على خلقه ووعاء علمه، وهذا الجانب الغيبي في تفسير القران يصدح قائلا أن القران كتاب نزل من الغيب ويتضمن الغيب ويفسر بالغيب ولا نقصد بالتفسير هنا هو أن تفسر ألفاظه بحسب ما جاء من المعاني اللغوية في معجمات اللغة العربية؛ وإنما يراد من التفسير أن تكشف مقاصد النص من خلاله، وكيف يعرف مقاصد الغيب من لم يطلع على أدنى جزئية من الغيب، بل سيكون تفسره رجما بالغيب، ومن هنا ندرك خطورة التفسير بالرأي أو التفسير الذي يتضمن الاحتمالات المتضاربة بدعوى أن القران يحتمل عدة وجوه؛ بل أن الوجوه القرآنية حتى لو بلغت ما بلغت في الآية الواحدة لا يمكن أن نجد بينها أي اختلاف يدعو الى التضارب أو التصادم بين المقاصد الغيبية لأن الله تعالى برأ كلامه من الاختلاف في مقاصده الجليلة.

---

[1]– تفسير القمي: 2: 382.

المبحث الثاني

تفسير القرآن بالقرائن المتعددة والاحتجاج به

عندما نراجع كتب التفسير في مكتبتنا الإسلامية لننظر إلى مناهج تفسير القرآن الكريم التي قامت عليها التفاسير لوجدناها متعددة ومتنوعة بحسب المنطلقات الفكرية التي قد تختلف من مفسرٍ إلى آخر، وهذا مما يزيد التراث التفسيري ثراءً وإحاطة بمعظم الجوانب الفكرية والاجتماعية التي تساهم في فهم النص القرآني وتفعيله في أرض الواقع، فقد تتعدد القرائن المساهمة في فهم النص، فمنها القرائن اللغوية السياقية منها والمعجمية، ومنها القرائن التاريخية وما حدث من أحداث رافقت نزول النص الكريم، ومنها الاستدلال بالمرويات النبوية والآثار الشريفة لمعرفة مقاصد النص، ومنها تفسير القرآن بالقرآن فقد نجد آيةً في سورةٍ معينة تتحدث عن أمر معين بشيء من الإجمال، ونجد آيةً أخرى تتحدث عن ذلك الأمر نفسه بشيء من التفصيل، فقد تساعدنا هذهِ الآية في إيضاح مقاصد الآية الأولى التي اتسمت بالإجمال.

ومن الجوانب المعرفية في إيضاح مقاصد النص الكريم الجانب الغيبي وهذا الجانب لا نجده إلا عند رسول الله والائمة (صلوات الله عليهم أجمعين)؛ لأنهم ينطقون عن الله ويؤدون رسالته إلى الناس فشأنهم يختلف عن شأن غيرهم.

وفي هذا المبحث نريد أن نسلَّط الضوء على القرائن المتعددة التي وجدناها واضحة في مرويات الإمام الباقر (عليه السلام) إضافة إلى الجانب الغيبي الذي سبق تفصيل الكلام فيه مبحثٍ مستقل.

والقرينة تنقسم إلى قرينة مقالية وقرينة حالية فالقرينة المقالية هي: "يراد بها الكلام الذي يكتنف الشيء في بيان المقصود منه"، والقرينة الحالية هي: "يراد بها ما يحف بالشيء من أفعال أو أقوال مما له علاقة بإيضاح المراد منه"[1].

نجد في بعض الروايات الشريفة أن الإمام (عليه السلام) يفسَّر القرآن بالقرآن أو يستدل على إثبات معنى معين من خلال القرآن ومن هذهِ الروايات:

---

[1]– الكاشف عن المحصول في علم الأصول، أبو عبد الله محمد بن محمود بن عبَّاد العجلي الأصفهاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م: 2: 300.

" عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): "إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله» ثم قال في بعض حديثه: "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال"، فقيل له: يا بن رسول الله، أين هذا من كتاب الله؟ قال: «فإن الله عز وجل يقول: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)، وقال: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)، وقال: (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم)" [1].

وفي هذا الحديث يأتي الإمام (عليه السلام) بالآيات الكريمة ليثبت معاني الحديث الشريف المروي عن جدّهِ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن المعلوم أن الحديث الذي لا يوافق القرآن الكريم تسقط حجتة ولا يعتبر من الأحاديث الصحيحة، وذلك لسبب بسيط وواضح وهو أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لا ينطق عن الهوى، ولا يمكن أن يخالف القرآن بأي شكل من الأشكال، فهنا نجد الإمام يستدل على جميع جزئيات الحديث بآيات من الذكر الحكيم ليثبت صحتها، فالحديث نهى عن ثلاث جزئيات، هي:-

الأولى: النهي عن القيل والقال، فأتى (عليه السلام) بالآية التي تثبت هذا المعنى؛ وذلك من خلال قوله عز وجل: " لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ"[2] وجاء هذا النهي لما في القيل و القال من ضياع الوقت و الإسراف في الخوض بالأمور التي لا نفع منها ولا طائل و لما يسببه من إثارة الشحناء في الحديث عن خصوصيات الاخرين و ما يدخل في ذلك من الغيبة و الكذب والافتراء عليهم او الطعن فيهم .

الثانية: النهي عن فساد المال، فأتى بقوله تعالى: " وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ"[3] لما في المال من خصوصية كبيرة تكمن في أنه عصب الحياة، فالدنيا تقوم بالأموال كما ورد عنهم (عليهم السلام) في العديد من الروايات الشريفة ، فالمال سلاح ينبغي أن لا يساء استعماله و لذلك نهي

---

[1]- الكافي: 1: 48.

[2]- النساء: 114.

[3]- النساء: 5.

عن إيتائه للسفهاء لعدم تمكنهم من إدارة الشؤون المالية و المعاملات التي قوامها بالأموال بسبب ضعف الإمكانية العقلية لديهم .

الثالثة: النهي عن كثرة السؤال، فأتى بقوله سبحانه: " لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"[1] فليس كل شيء يجب أن يعرفه الإنسان وأن يحيط به علما، فكثير من الأشياء يكون الصالح في إخفائها لمصلحة يعرفها الله عز وجل .

ومن الروايات الشريفة التي يحتج فيها الإمام (عليه السلام) بآيةٍ من كتاب الله في إثبات معنى معين:

"عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قَالَ: "مَنْ أَحَبَّنَا فَهُوَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ". فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مِنْكُمْ؟ قَالَ: "مِنَّا وَاللَّهِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي؟"[2].

يستدل الإمام (عليه السلام) في هذهِ الرواية من القرآن لإثبات أن من أحب أهل البيت (عليهم السلام) فهو منهم بدليل قول الله عز وجل على لسان إبراهيم: " فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي"[3].

مع ملاحظة أن الحب يوجب الاتباع فلا حبَّ من دون اتباع لمنهجهم (عليهم السلام) فالإمام (عليه السلام) كان يتحدَّث عن الحب واستدل بآية فيها كلمة (الاتباع)؛ لأنه لا يمكن أن يكون الحب صادقاً من دون اتباع، فما نفع الحب من دون طاعة، وقد قال الله تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[4] ، فشرط إثبات الحب هو تحقيق الاتباع الذي يترتب عليه غفران الذنوب

ننتقل إلى روايةٍ أخرى وهي من الروايات النفيسة والجامعة للكثير من الاستدلالات والقرائن العقلية والتاريخية وكذلك تحتوي على تفسير القرآن بالقرآن، وهذهِ الرواية تتضمن حواراً دار بين مولانا (عليه السلام) وبين قتادة بن دُعامة البصري التابعيّ المشهور.

---

[1]– المائدة: 101.

[2]– تفسير العياشي: 2: 231.

[3]– إبراهيم: 36.

[4]– آل عمران: 31.

" عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر (عليه السلام) فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: هكذا يزعمون فقال أبو جعفر (عليه السلام): بلغني أنك تفسر القرآن؟

فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام) بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا بعلم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك؟ قال قتادة: سل قال: أخبرني عن قول الله عز وجل في سبأ: " وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين " فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر (عليه السلام): نشدتك الله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم، فقال أبو جعفر (عليه السلام): ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل: " واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم " ولم يعن البيت"[1].

في هذهِ الرواية القيمة نرى أن الإمام (عليه السلام) قد حذّر من التفسير بالرأي ومن أخذ تفسير القرآن من الرجال، فأما التفسير بالرأي فإنه يؤدي إلى هلاك صاحبه ودخوله النار وهلاك من وافقهُ من الناس؛ لأنَّ التفسير بالرأي لا يقوم على دليل وسلطان بيَّن وهذا يعني أن الذي يفسر القرآن برأيه قد افترى على الله الكذب، وفسر النص بغير مراده الذي أراده الله تعالى له.

وأما أخذ التفسير من الرجال فإنَّه يؤدي إلى الهلاك والضلال والانحراف وذلك لأنَّ الحق لا يُعرف بالرجال وإنما يُعرف الرجال باتباع الحق، والحق هو ما خرج للناس من طريق الكتاب والعترة وهو المنهج المعصوم من الضلال وهو الحق الخالص الذي لا يشوبهُ باطل ولا يخالطه انحراف.

ولهذا السبب فإنَّ التفسير المروي عن غير المعصومين والتابعين وكذلك أقوال أرباب التفاسير ومصنفات علوم القرآن لا يمكن الأخذ بها إلا بعد عرضها على القرآن الكريم وحديث أهل البيت (عليهم السلام) الصحيح الثابت عنهم والمروي في أوثق كتب الحديث الشريفة التي دوَّنت حديثهم،

---

[1]– الكافي: 8: 311.

ولو رجعنا إلى ما روي عن الصحابة والتابعين في كتب التفسير لوجدنا الكثير من تلك الأقوال تخالف تفسير أهل البيت في مروياتهم الشريفة، ولهذا السبب فإنَّ كل قول يخالف منهج أهل البيت (صلوات الله عليهم) هو قول باطل ولا يمكن قبوله بأي حالٍ من الأحوال.

ثم نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) قد أبطل تفسير قتادة وفنّد رأيه من خلال قرينة واقعية لا يستطيع أي عاقل أن ينكرها، وهي أن قوافل الحج المتجهة إلى مكة المكرمة في موسم الحج قد تتعرض لغزو اللصوص وقطّاع الطرق، الذين يشكلون خطراً على الحجيج وممتلكاتهم وإبلهم فتسرق مملكاتهم وقد يُقتل البعض منهم، وهذا مما لا يمكن إنكاره، فكيف يعدهم الله تعالى بالأمان وهم يتعرضون لهذه المخاطر كما أشار الإمام الباقر (صلوات الله عليه)؟

ثم أتى الإمام (عليه السلام) بقرينة أخرى من النص القرآني نفسه تفسر الآية المذكورة من سورة سبأ، وهذا هو التفسير الذي يقدمه لنا الإمام (عليه السلام)، فالأمان المذكور في الآية هو أمان من عذاب النار في الآخرة وأمان من الضلال في الدنيا، وليس الأمان من القتل والسلب كما فهمه قتادة البصري بفهم سطحي لا يتلاءم مع حقيقة الواقع.

ننتقل إلى القرينة اللغوية في تفسير النص القرآني عند الإمام الباقر (عليه السلام) إذ نجد في كثير من الروايات الشريفة أن الإمام يفسَّر النص بقرينة دلالته المعجمية فلا نجد أي اختلاف بين تفسير الإمام وبين معنى المفردة القرآنية في معاجم اللغة العربية، ومن هذهِ الروايات:

" الْعَيَّاشِيُّ: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ،فِي قَوْلِ اللَّهِ: إِنَّ الصَّفٰا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا "أَيْ لاَ حَرَجَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا"[1].

أي أنه لا إثم عليه، والمعنى واضح جداً من خلال سياق الآية، والإمام (عليه السلام) لم يشر إلى غير المعنى المعجمي وإنما اكتفى به، وقد جاء في لسان العرب بأنه: "الإثم، والحارج هو الآثم"[2].

---

[1]– تفسير العياشي: 1: 69.

[2]– لسان العرب: 2: 233.

وكذلك نجد المعنى المعجمي يتجلى في هذهِ الرواية الشريفة التي تتحدَّث عن الذي لا يستطيع صيامَ شهر رمضان المبارك:

"عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" قال الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش[1].

وكذلك في بيان معنى اسم عظيم من أسماء الله الحسنى وهو (البديع) نرى الإمام يرجعه إلى الفعل الثلاثي ويبيَّن أن معناه هو الموجد والخالق الذي ابتدأ خلق جميع الأشياء.

" مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: بَدِيعُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَهُ،فَابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ وَلاَ أَرَضُونَ، أَمَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ: وَكٰانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمٰاءِ"[2].

وفي بيان معنى قوله تعالى: "ألدُّ الخصامِ" نرى الإمام (عليه السلام) يبيَّن معناها وفق قرينة الدلالة المعجمية، وهذا التعبير يدل على الخصومة الشديدة".

" عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصٰامِ بَلْ هُمْ يَخْتَصِمُونَ"، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَلَدُّ؟ قَالَ :"شَدِيدُ الْخُصُومَةِ"[3].

وأما في بيان معنى كلمة (الإله) فإن الإمام (عليه السلام) يرجعها إلى الأصل الثلاثي ثم يستدل بقول العرب، وهو معنى معجمي محض.

---

[1]– تفسير العياشي: 1: 78.

[2]– الكافي: 1: 200.

[3]– تفسير العياشي: 1: 101.

" قَالَ الْبَاقِرُ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ): "[اللَّهُ] مَعْنَاهُ: اَلْمَعْبُودُ الَّذِي أَلِهَ الْخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَاهِيَّتِهِ، وَالْإِحَاطَةِ بِكَيْفِيَّتِهِ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: أَلِهَ الرَّجُلُ إِذَا تَحَيَّرَ فِي الشَّيْءِ فَلَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْماً، وَوَلِهَ إِذَا فَزِعَ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا يَحْذَرُهُ وَ يَخَافُهُ فَالْإِلَهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنْ حَوَاسِّ الْخَلْقِ"[1].

فالإله هو الذي لا يستطيع الخلق الإحاطة بكيفيته ومعرفة حقيقة ماهيته لأنه لو أحاط به الخلق لكان معقولاً وحينئذٍ يستوي الخالق والمخلوق وهذا من المحال، فالله تعالى هو خالق كل شيء وهو المحيط علماً بكل شيء، ولا يمكن أن يكون محاطاً بهِ من قبل أي شخص أو أي شيء.

وكيف يحيط المخلوق بالخالق مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الإدراك العقلي الذي يتمتع به المخلوق هو مخلوق أيضاً.

إنَّ روايات الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) قد تضمنت الكثير من المعاني التي يمكن اعتبارها معانٍ معجمية تستمد دلالاتها من لغة العرب، ونرى الكثير من الروايات يشير فيها الأئمة إلى الاستعمال اللغوي عند العرب ويستشهد بما يتيسَّر من كلامهم لتقريب معاني المفردات القرآنية إلى ذهن السائل، وإن أكثر روايات التفسير قد رويت عن إمامنا الصادق (عليه السلام) وبما أن بحثنا يخص مرويات الباقر (عليه السلام) ويقتصر عليها لم نذكر بقية الروايات الشريفة المروية عن الصادق والرضا والعسكري (صلوات الله عليهم)؛ وإنما اكتفينا بذكر الروايات المروية عن الباقر (عليه السلام) وهي قليلة نسبياً لو قيست بمرويات الأئمة التي حدثتنا عن تفسير النص القرآني وتأويله وكشفت عن الأسرار الكامنة فيه.

إنَّ من خلال هذا المبحث نستنتج أنه لا يمكن أن نأخذ أسلوباً واحداً أو طريقة استدلال واحدة فقط في فهم مقاصد النص الكريم، فقد تكون الدلالة المعجمية طريقاً للوصول إلى مراد الله تعالى، وقد مرَّت علينا الكثير من الروايات التي تفسر القرآن وهي تستند في تفسيرها على الدلالة المعجمية للمفردات القرآنية.

وقد تكون الحوادث التاريخية والحقائق الواقعية طريقاً لفهم النص أيضاً كما مرَّ علينا في الحديث الشريف الذي حاور فيه الإمام (عليه السلام) فقيه أهل البصرة قتادة بن دعامة البصريّ، فكم من

---

[1]– التوحيد: 89.

لاجئ إلى بيت الله قد سُفِك دمه كعبد الله بن الزبير الذي قتله الحجاج بالقرب من الكعبة وكذلك سعيد بن جبير وغيرهما.

ومن الأساليب المهمة أيضاً في فهم النص القرآني هي القرينة القرآنية، فالقرآن فيه آيات مُجملة وأخرى مفصّلة، والمفصل يشرح للأمة مقاصد المجمل من آيات الكتاب العزيز.

وكذلك نجد أن الإمام (عليه السلام) يعلمنا كيفية التثبت من صحة الأحاديث من خلال عرضها على النص القرآني والتماس الشواهد القرآنية لها لإثبات معانيها، فالحديث الموافق للقرآن الكريم يمكن الأخذ به، أما المخالف فهو حديث موضوع لا صحة له ولا يمكن العمل به.

الخاتمــة

الخاتمة

بتوفيق الله (عز وجل) انتهت هذه الدراسة بجملة من النتائج، وهي:

1- إنّ جميع وسائل المعرفة الحسية لا تستطيع أن توصل أصحابها إلى ساحة الحقيقة الكاملة، فالمعرفة المثالية أو ما يُعرف بالمعرفة عند المثاليين تقوم على مجموعة من الفرضيات التي تنأى بنفسها عن حقائق الواقع ومعطياته التي لا يمكن للإنسان الباحث عن المعرفة تجاوزها أو التقليل من شأنها، وكذلك الحال مع المعرفة المادية التي افترضت انعدام كل ما لا يمكن إدراكه بالحواس التي تعتبر الوسائل التي من خلالها يمكن اكتساب المعرفة، فكل ما لا تستطيع الحواس ادراكه والشعور به أو رؤيته فهو عدم لا وجود له في عالم الأعيان ،ولم ترجع هذه المعرفة هذا الأمر إلى محدودية هذه الحواس والقصور الذي تتسم به ،إنما نفت وجود ما لا يدرك بها، ومن هذا فإن كلتا المعرفتين (المثالية والمادية) لا يمكن أن يكونا سبيلًا لمعرفة مقاصد النصوص المقدسة المتمثلة بآيات الكتاب العزيز وحديث العترة الطاهرة (عليهم السلام).

2- إنّ أدوات فهم النص القرآني وحديث العترة الطاهرة (عليهم السلام) ليست أدوات خارجية تأتي من خارج النص ؛ وإنما تكمن هذه الأدوات في النص نفسه ، فإن قائل النص المقدس وهو الله (جل جلاله) قد جعل هذه الأدوات المعرفية كامنة فيه.

3- إنّ المعصوم (عليه السلام) سواء أكان نبيًا أو وصيًا هو الشخص الوحيد الذي يملك سلطانًا لفهم النص كما أراده الله تعالى، وهو الذي يبين مقاصده الشريفة بحسب الأدوات المعرفية المستمدة من طريق الوحي الإلهي، وبهذا فإنّ النص القرآني لا يمكن الخوض بمقاصده العميقة دون الرجوع الى القيّم على ذلك النص، وهم عترة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

4- إنَّ القرآن الكريم هو المعجزة المتفردة من بين جميع معاجز الأنبياء (عليهم السلام) بخلودها إلى يوم القيامة ؛ وذلك أنَّ الجن والإنس لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله ، فالقرآن هو النص المعجز بأساليبه البلاغية ولغته التي لا يمكن أن تصنف ضمن الشعر أو النثر في القرآن هو الكتاب الذي لا يمكن تصنيفه ولا يشبه بأي لون من ألوان الكلام ،وهو الكتاب المعجز بمضامينه ومقاصده العميقة واخباراته الغيبية ، وبما يحتويه هذا الكتاب من الأسرار الالهية التي أطلع الله

عليها الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ، فسماهم في كتابه بالراسخين في العلم وأهل الذكر وورثة الكتاب.

5- إنّ المفردة القرآنية تتصف بسلاسة النطق وتناغم الأصوات المكونة لها، فهي خالية من الغرابة و التكلف والمشقة التي قد نجدها في الكثير من المفردات التي وردت في الشعر العربي المعاصر زمنيًا لعصر نزول النص القرآني.

6- إنّ الأساليب التعبيرية للقرآن الكريم وسياقاتها الخطابية انمارت بدقة إصابة المعنى وتحقيق أعلى مستوى تعبيري عن المعنى المقصود ،فلا يمكن لأي أحد أن يُعبر عن قصد قرآني بتعبير أفصح من لغة القرآن أو بخطاب أبلغ منه .

7- لقد كانت المرويات الشريف لمولانا الإمام الباقر (عليه السلام) التي قامت عليها هذه الدراسة بمثابة المفاتيح التي تفتح لنا أبواب فهم النص القرآني كما أراد الله تعالى ، فآيات القرآن خزائن ، وكلما فتح الإمام خزانة نظرنا إلى ما فيها كما ورد عنهم (عليهم السلام).

8- إنّ النصَ القرآني له خصوصيات تنعدم في بقية النصوص كالنصوص الأدبية الشعرية منها والنثرية ، فمن خصوصياته أنّ آياته الكريمة بعضها مجمل وبعضها مفصّل ، ومنها ما هو محكم ومنها ما هو متشابه، ومنها ما هو خاص ومنها ما هو عام ، ولا يمكن أن تُفهم الآية بمعزل عن سياقها اللغوي أو سياقها المعرفي ، فرُبّ آية في آخر القرآن تفصّل معنى اجماليًا ورد في آية في أوله.

9- تُصنف آيات القرآن الكريم في تراث أهل البيت صلوات الله عليهم بحسب موضوعاتها ، فنجد التصنيف يكون ثنائيًا مرة وثلاثيًا مرة اخرى ،وهناك تصنيف رباعي ورد إلينا عن الامام الصادق (عليه السلام) ،لمن سلط عليه الضوء نظرًا لاختصاص هذه الدراسة بمرويات الباقر (عليه السلام) ، فترى اختلافًا في التصنيف تبعًا للموضوعات التي تمحورت حولها الآيات القرآنية.

10- تضمنت مرويات الإمام الباقر (عليه السلام) وكذلك حال مرويات أهل البيت بشكل عام جنبة معرفية غيبية ، فترى أنّ الامام (عليه السلام) يحدثنا بما سيجري في المستقبل القريب وكذلك البعيد، ويحدثنا عن الماضي الضارب في القدم ويروي لنا أدق التفاصيل التي يستحيل علينا ان

الخاتمة :.....

نهتدي اليها وأن نحيط بها لولا هذه المرويات الشريفة الصادرة عن خزنة علم الله وامناء وحيه صلوات الله عليهم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

1- ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرضٌ ونقد، د. احمد بن ناصر محمد، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الرياض، ط1، 1406هـ.

2- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ابو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، دار صادر، بيروت، ط3، 1411هـ.

3- أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الشعب، ط1، القاهرة، 1960م.

4- أساس التأويل، النعمان بن حيّون التميمي المغربي (ت363هـ)، ت: عارف تامر، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1975م.

5- الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1968م.

6- أسباب النزول، ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري ت 468هـ، دار الاصلاح ، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط1، 2007م.

7- اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ت 471، تحقيق: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1991م.

8- الإشارات والتنبيهات، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الرازي ، ت:سليمان دنيا ، دار المعارف ،ط2، القاهرة ، 1966 م.

9- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط1.

10- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار "ع"، الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.

11- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ت1107هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.

12- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (عليهم السلام)، محمد بن الحسن الصفار، ت: ميرزا محسن، مؤسسة الأعلمي، طهران، ط1.

13- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفضل محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: عبد الكريم العزاوي، التراث العربي، طبعة وزارة الإعلام في الكويت، ط1، 1976م.

14- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو النصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، ت: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.

15- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة: د. أبو ريدة، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1938م .

16- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد علي ابو ريان، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1986م.

17- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد إبراهيم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1937م.

18- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة شرف الدين، علي الحسيني النجفي، ت : مؤسسة الإمام المهدي ع ، قم ، ط1 ، 1407هـ.

19- التأويل والتأويل المفرط، أمبيرتو إكو، ترجمة: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2009م.

20- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1984م.

21- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مطبعة القاهرة، القاهرة، ط1، 1938م.

22- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، ت864هـ، دار الحديث، القاهرة، ط1، د.ت.

23- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع اخبار اليوم، القاهرة، ط1، د.ت.

24- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة الاسلامية، طهران، ط11، 1380هـ.

25- تفسير القمي، ابو الحسن علي بن ابراهيم القمي، ت: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دائر الكتاب، قم، ط3، 1404هـ.

26-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت774هـ، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000م.

27-التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، د. مأمون حموش، دار احياء التراث العربي، ط1، 1428هـ.

28-تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق، مكتبة الثقافة الدينية، شارع بور سعيد، القاهرة، ط1، 1975م.

29-التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ت381هـ، ت: هاشم الطهراني، طبعة جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط1.

30-التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ابو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ت311هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ط5، 1414هـ.

31-جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني ت444هـ، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 1428هـ.

32- جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته، أكرم عبد خليفة الدليمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ.

33-حدائق الأنوار ومطالع الإسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحضري ت930هـ، دار المنهاج، جدة، ط1، 1419هـ.

34-خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة، فخر الدين محمد بن عمر البكري الرازي، ت: أحمد حجازي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ-1992م.

35-الدرر المصون علوم الكتاب المكنون، ابو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف السمين الحلبي ت 756هـ، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، د.ت.

36-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت911هـ، دار الفكر، بيروت، ط1، 2011م.

37-دلائل الإعجاز في علم المعاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) ، تح : محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ط3 ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م

38-دلالة السياق، د. ردة الله بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ.

39-رسالة في حقيقة التأويل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت: جرير بن العربي الجزائري، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هـ-2005م.

40-روضة الواعظين، الشيخ محمد بن الفتال النيسابوري ت (508هـ)، منشورات الرضي، قم، ط1، 1386هـ.

41-سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح للمطبوعات، القاهرة، ط1، 1969م.

42-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.

43-سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ت279هـ، ت: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1395هـ-1975م.

44-السنن الكبرى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت303، ت: عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1421هـ-2001م.

45-سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن محمد الذهبي، دار الحديث، ط1، القاهرة، 2006م.

46- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري ت 276هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت.

47-شرح الإمام بأحاديث الأحكام، تقي الدين محمد بن علي القشيري ت702هـ، ت: محمد العبد الله، دار النوادر، دمشق، ط2، 1430هـ-2009م.

48-شرح المعلقات العشر، القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1983م.

49-الشكل في العربية دراسة لغوية تاريخية، الدكتور أحمد عبد الكاظم علي، دار الصادق، الحلة، ط1، 2023م.

50-صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، ط4، 1997م.

51-صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: جماعة العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة، ط1، 1311هـ.

52-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري ت (261هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1374هـ-1955م.

53-الصناعتين، ابو هلال العسكري ت 395هـ، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981م.

54-الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري ، ت 230هـ ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1405هـ .

55-علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، الدكتور فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2، 1996م.

56-علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

57-علوم القرآن، الدكتور عبد الله محمود شحاته، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2002م.

58-عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي (ت756هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 141هـ-1996م.

59-العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، مطبعة هندية، القاهرة، ط1، 1925م.

60-عيار الشعر، محمد بن أحمد العلوي، تحقيق: د. طه الحاجري، المكتبة التجاري الكبرى، القاهرة، 1956م.

61-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت175هـ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط1، 1986م.

62-الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، تح :علي أكبر الغفاري ، منشورات مكتبة الصدوق ، طهران ، ط1 ، 1411هـ.

63-فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان، دار ابن الجوزي، الرياض، ط2، 1423هـ.

64-فصول في علم الدلالة، د. فريد عوض، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.

65-الفكر وطبيعته وتطوره، د. نبوي جعفر، دار الكتب، ط1، 1970م.

66-فلسفة المحدثين المعاصرين، وولف، ترجمة: د. ابو العلا عفيفي، لجنة التأليف والنشر، ط2، القاهرة ،1944م.

67-الفلسفة اليونانية، شارل فرنر، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، ط1، بيروت، 1968م.

68-في الفلسفة الإسلامية، إبراهيم مدكور، تقديم: منى أحمد أبو زيد، دار الكتب المصري، مكتبة الاسكندرية، القاهرة، ط3، 1989م.

69-القاموس المحيط، مجيد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المطبعة الاميرية، ط3، القاهرة، 1973م.

70-قضايا النقد الأدبي والبلاغة، د. محمد زكي العشماوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط2، 1968م.

71-الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط11، بيروت، 2005م.

72-الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل الشافعي ت893هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1429هـ.

73-كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، أبو القاسم علي بن محمد القمي الرازي ، منشورات بيدار ، قم ، مطبعة الخيام ، ط1، 1401هـ .

74-الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط11، 1418هـ-1998م.

75-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ت975هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط5 ، 1405هـ.

76-اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي ت775هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1419هـ.

77-لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ت711هـ، ت: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط11.

78-مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الانصاري ت711هـ، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1402هـ.

79- المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.

80- المصطلحات الأدبية والنقدية، أسامة محمد البجيري، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 2021م.

81- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، طبعة الهيئة العامة، ط1، القاهرة، 1973م.

82- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1971م.

83- معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، 1988م.

84- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1399هـ-1979م.

85- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، ت: إبراهيم مدكور وطه حسين، المؤسسة المصرية العامة للنشر، ط1، القاهرة، 1962م.

86- المناقب، أبو المؤيد أحمد بن محمد البكري الحنفي ت (568هـ)، إصدار مكتبة نينوى الحديثة، طهران، ط1، 1408هـ.

87- مناقب آل أبي طالب ، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ، منشورات مؤسسة العلامة ، قم ، ط1 ، 1402هـ.

88- مختصر بصائر الدرجات ، الحسن بن سليمان الحلي ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط1، 1370هـ.

89- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن القيم ت (751هـ)، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2001م-1422هـ.

90- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، ت: السيد هاشم الرسولي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ.

91- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.

92- معاني الأخبار، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، ت: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط11، 1361هـ.

93-مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط9، القاهرة، 1989م.

94-المهذب في أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ.

95-نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الدكتور راجح عبد الحميد الكردي، مكتبة المؤيد، ط1، الرياض– شارع الأمير ناصر بن عبد العزيز، 1992م.

96-نظرية السياق، د. نجد الدين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ–2006م.

97-نظرية المعرفة المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العاملي، الدار الإسلامية، ط1، بيروت، 1990م.

98- النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1968م.

99-النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)، ت: محمد خلق الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1968م.

100- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري ت468هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1415هـ.

101- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، ت: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1972م.

Abstract ……

abstract

God Glory be to Him) has sent down the Noble Book to His Messeng may God bless him and his family), and made in it the clarification of everything, so there is nothing that the nation needs except that it is found in the Book of God, then the knowledge of the Book was entrusted to the elite of His creation, and the trustees of His revelation. and the heirs of the knowledge of His Messenger (may God bless him and his family), and they are the imams from the descendants of Ali and Fatima (peace be upon them). Interpretation of the Quranic text and classification of its noble verses

The Qur'an includes what is general, and some of it is detailed, and it contains the decisive and the allegorical, and there is the specific and the general, and it contains revelation and interpretation, and it contains the back and the belly, as it was reported from them (may God's prayers and peace be upon them What prompted us to choose these honorable narratives and take them as a material for our research is what these narratives contain of the treasures of divine knowledge revealed by our imam, al-Baqir (peace be upon him), and what they contain of the depth of the Qur'anic purposes, without which we would have no way to reach and encompass them, as they are issued by an imam God entrusted him with the knowledge of revelation and interpretation, as he entrusted his honorable forefathers
.(peace and blessings be upon them)

In addition, we did not find a study that sheds light on these honorable narratives and deals with them with the appropriate study as they should be studied, and we did not find a study looking at the unseen aspect of these narratives and the methods of inference presented by the Imam (peace be upon him), and the way through which he dealt with the text Qur'anic, according to metaphysical tools derived from the path of revelation, and how a single verse may be understood in the era of revelation with an understanding that is completely different from its understanding in the era of interpretation

All means of sensory knowledge cannot lead its owners to the arena of complete truth. Ideal knowledge, or what is known as knowledge among idealists, is based on a set of assumptions that distance themselves from the facts and facts of reality that a person seeking knowledge cannot bypass or underestimate. With materialistic knowledge that assumed the absence of everything that cannot be perceived by the senses, which are considered the means through which knowledge can be acquired, everything that the senses cannot perceive, feel, or see is non-existence that does not exist in the world of objects, and this knowledge did not return this matter to the limitations of these things. The senses and the shortcomings that characterize them, but deny the existence of what is not perceived by them, and from this both knowledge (ideal and material) cannot be a

Abstract ……
way to know the purposes of the sacred texts represented by the verses of the Holy ..Book and the hadith of the pure progeny (peace be upon them)

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala - College of Islamic Sciences

The department of Arabic language

The Qur’an in the narrations of Imam al-Baqir "Cognitive approach"

To the Council of the College of Islamic Sciences University of Kerbala, which is part of the requirements for obtaining a master's degree In the language of the Qur'an and its literature

Master thesis submitted by the student

Muhammad Ali Sadiq Jawad Kashash

:Supervised by

Mr. Dr. Amjad Hamid Abdullah

2023 AD   1445 AH